الفضائيات الدينية

الصورة المثالية للمرأة وأثرها على النساء في فلسطين

جمان قنيص

الفضائيات الدينية

الصورة المثالية للمرأة وأثرها على النساء في فلسطين

جمان قنيص

مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية
رام الله - فلسطين
٢٠١٣

Religious Satellite Channels: The Image of the Ideal Women and its Impact on Palestinian Women

Juman Quneis

© Copyright: MUWATIN - The Palestinian Institute for the Study of Democracy
P.O.Box: 1845 Ramallah, Palestine

2013

ISBN: 978-9950-312-77-7

This book is published as part of an agreement of cooperation with Oxfam Novib, Netherlands

جميع الحقوق محفوظة

مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية

ص.ب ١٨٤٥، رام الله، فلسطين

هاتف: ١١٠٨ ٢٩٥-٢-٩٧٢+، فاكس: ٠٢٨٥ ٢٩٦-٢-٩٧٢+

البريد الإلكتروني: muwatin@muwatin.org

٢٠١٣

يصدر هذا الكتاب ضمن اتفاقية تعاون مع مؤسسة أوكسفام نوفب، هولندا

تصميم وتنفيذ مؤسسة **ناديا** للطباعة والنشر والإعلان والتوزيع
رام الله – هاتف ٠٩١٩ ٢٩٦ – ٠٢

ما يرد في هذا الكتاب من آراء وأفكار يعبر عن وجهة نظر المؤلف ولا يعكس بالضرورة موقف مواطن - المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية.

المحتويات

مقدمة	٥
الفصل الأول: متابعة الفضائيات الدينية سلوك اجتماعي أم خيار إعلامي	٢٣
الفصل الثاني: الفضائيات الدينية الإسلامية في العالم العربي	٣٩
القنوات الدينية والأنظمة السياسية	٤٢
مصادر التمويل	٤٥
جدل حول القنوات الدينية	٤٥
الفصل الثالث: المرأة في خطاب الفضائيات الدينية	٤٩
الفصل الرابع: كيف تتأثر النساء الفلسطينيات في الضفة بالقنوات الدينية؟	٧٧
سلوك المشاهدة	٨٠
لماذا تشاهد النساء في فلسطين القنوات الدينية؟	٨٢
الفصل الخامس: كيف أثرت الفضائيات الدينية في حياة النساء الفلسطينيات؟	٩٣
الفكر والاعتقاد	٩٦
السلوك ومظاهر التدين	١٠٩

الخلاصة ١٢٧

الهوامش ١٣١

المراجع ١٣٩

مقدمة

مقدمة

تقدم الفضائيات الدينية الإسلامية السلفية خطاباً يُمثل رؤية التيار السلفي الدعوي لما يجب أن يكون عليه المجتمع العربي الحديث. وينادي الدعاة الذين يظهرون على تلك الفضائيات بالتطبيق الحرفي لأنماط الحياة السائدة أيام السلف.

منذ أن سمحت الحكومة المصرية زمن مبارك لها بالعمل العام ٢٠٠٦، تخصص الفضائيات السلفية معظم برامجها لشرح العبادات وتفسير القرآن والأحاديث، باعتبار أن العلم بالدين يؤدي إلى الفوز بالآخرة، ولم تكن تتطرق إلى الشؤون السياسية، الأمر الذي دفع بعض الباحثين للقول إن إعطاء تراخيص لهذه القنوات في ذلك الوقت جاء لتقوية شوكة التيار السلفي الدعوي مقابل جماعة الإخوان المسلمين التي فازت بخُمس مقاعد البرلمان المصري العام ٢٠٠٥.[١] لكن تلك القنوات بدأت بمناقشة القضايا السياسية بعد الثورة المصرية التي أطاحت بنظام حسني مبارك مطلع العام ٢٠١١، وما تلاها من خوض التيار السلفي غمار الانتخابات الرئاسية والتشريعية المصرية.

تثير الفضائيات الدينية منذ أن ظهرت جدلاً كبيراً وبخاصة في مصر التي تحتضن مقارّ غالبية تلك الفضائيات على أرضها. فقد اتُّهمت أكثر من مرة بالتسبب بفتن طائفية بين المسلمين والأقباط بعد تفجير كنائس عدة في السنوات العشر الماضية، وبين المسلمين أنفسهم عندما شتم بعض "نجوم" تلك الفضائيات، مفتيَ الأزهر الشيخ علي جمعة، لأنه "متساهل بشأن النقاب وختان البنات".

كما أثارت الفتاوى "المتشددة" حول النقاب وتعدد الزوجات والاختلاط، حفيظة الكثير من المثقفين الإسلاميين والليبراليين والعلمانيين على حد سواء.

وقد بلغ الحديث عن أثر القنوات السلفية أوجَهُ بعد فوز التيار السلفي بحوالي ربع مقاعد البرلمان المصري العام ٢٠١١. إذ فُسر ذلك الفوز بأنه نتيجة ارتفاع شعبية ذلك التيار بفضل المنابر الحرة التي وفرتها تلك الفضائيات لدعاة السلفية في مصر والسعودية أثناء عهد مبارك وبعده، ما مكّنهم من نشر أفكارهم خلالها.[٢]

وكانت المرأة وكل ما يُبذل من جهود لتغيير مكانتها وحجم مشاركتها في المجتمع في مقدمة القضايا التي ينادي دعاة الفضائيات الدينية بتغيير مسارها، ويطرحون آراء تثير الجدل بشأنها. وقد حمل خطاب تلك الفضائيات رؤى متشددة تجاه المرأة تدعوها إلى ترك العمل والبقاء في المنزل والاحتجاب عن الناس والمجتمع.

هذه الدراسة تهدف إلى الوقوف على ملامح الخطاب السلفي في الفضائيات الدينية، في ما يتعلق بالصورة المثالية التي تطرحها تلك الفضائيات عن المرأة على وجه التحديد، كما تهدف إلى معرفة أثر الفضائيات الدينية على النساء في فلسطين. وينبع الاهتمام بهذا النوع من الفضائيات والدعاة السلفيين، بشكل خاص، من أن النساء في فلسطين يُشاهدن القنوات الدينية بشكل عام، وكل اللواتي يشاهدن القنوات الدينية يُتابعن الفضائيات الدينية السلفية، ويستمعن للدعاة السلفيين، وهو ما ستوضحه هذه الدراسة لاحقاً.

تؤثر الفضائيات الدينية على سلوك النساء الفلسطينيات اللواتي يُشاهدنها ونظرتهن إلى مكانة المرأة والرجل في الأسرة والمجتمع، فهي تُكرس في أذهانهنّ النظرة الدونية وأفضلية النظام الاجتماعي الذي تُرسخ فيه الهيمنة الذكورية وخضوع المرأة واستسلامها حتى لو تطلب ذلك قبولها بالظلم والقهر والتعايش معه. وتُضفي هذه الفضائيات على

كل ذلك طابعاً شرعياً دينياً، فمضمون برامجها يدعوهنّ إلى عدم تغيير واقعهن، وترك التعليم والعمل، والرضا بالفقر، والاكتفاء بالعبادات، والسعي للخلاص الفردي، والانعزال عن محيطهن.

وقد استجابت لهذا المضمون شريحة من النساء اللواتي تقدم بهن العمر، وانحسرت قدرتهن على تغيير الواقع، وكذلك أولئك اللواتي لم يحصلن على مستوى تعليمي عالٍ. إذ تقول إحدى هؤلاء النساء اللواتي تمت مقابلتهن وسؤالهنّ عن الأثر الذي تركته الفضائيات الدينية عليهنّ، إن النساء في مخيم بلاطة لم يعدن يجلسن على عتبات بيوتهنّ، لأنه لا يجوز لهن ذلك شرعاً، مع العلم أن العتبة هي البقعة الوحيدة التي يمكن أن يتعرض فيها المرء للشمس والهواء "النقي" في بيت تلك السيدة المزدحم بالأبناء والأحفاد، الذي لا يوجد فيه سوى شباك صغير هو المنفذ الوحيد على العالم.

لا يوجد في مضمون تلك الفضائيات ما يُشجع النساء على أخذ زمام المبادرة لتغيير الواقع الاقتصادي والاجتماعي الذي تعيشه السيدة المذكورة والكثير من الفلسطينيين، لأن ذلك المضمون يُرسخ لدى النساء الشعور بالعجز والدونية وأفضلية الرجال عليهن، فتقول إحداهن مثلاً، إنها "ضد النسوان ... والنسوان دائماً ظالمات للرجال".

يؤثم خطاب الفضائيات الدينية المرأة ويعتبرها مسؤولة بشكل أساسي عن فساد المجتمع، لأنها "سبب الغواية والفتنة"، فتدعوها باستمرار لأن تُسدل المزيد من الأغطية على جسدها، والنأي به عن عيون الناس، وبخاصة الرجال الذين قلّما يُلامون على "الافتتان"، وما قد يتلوه من تحرش واغتصاب حتى لو أدى ذلك "الاحتجاب" إلى حرمان المرأة من التعرض للشمس والهواء اللذين خلقهما الله للإنسان مهما كان جنسه، وحتى لو كانت الإحصائيات تشير إلى أن المرأة العربية هي أكثر مَن يعاني من أمراض هشاشة العظام على وجه الأرض، التي يمكن تجنبها بالتعرض للشمس، مع أن بلادنا أكثر بقاع الأرض تمتعاً بالشمس.

كما يدعو مضمون الفضائيات الدينية المرأة إلى الاكتفاء بالأدوار التقليدية من طبخ وأعمال منزلية وحمل وولادة وتغيير فوط الأطفال، اعتقاداً بأنها الأدوار التي اختارها الله لها، ويقلل في نظرها أهمية الأدوار التي يمكن أن تلعبها في مقاومة الاحتلال، والجهل، والتخلف، والفقر، لأنها "أدوار الرجال".

وعلى الرغم من أن أيًّاً من النساء اللواتي تمت مقابلتهن، لم تقل إنها تركت العمل أو التعليم تحت تأثير ما تشاهده في الفضائيات، فإن عدداً منهن استشهد بما سمعنه من الدعاة الذين يظهرون على تلك الفضائيات عن نوع من التعليم "ملائم للفتيات" دون غيره، وطبيعة عمل "ملائم" للمرأة كما سنرى لاحقاً.

لا توجد إحصائية تدل على نسبة مشاهدة الفضائيات الدينية في فلسطين، لكن أرقام الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني تشير إلى أن النساء في فلسطين يشاهدن التلفاز مدة أطول خلال النهار. وبما أن للتلفاز الأثر الأكبر في تشكيل وعي الفرد في مجتمع لا يقرأ، كان من الضروري معرفة الأثر الذي تتركه مشاهدة هذا النوع من الفضائيات على النساء في فلسطين.

في الفصل الأول رُصد محتوى الفضائيات الدينية، وحُلل مضمونه المتعلق بالمرأة، وقد اختيرت البرامج التي تشاهدها النساء، وتلك التي يُقدمها الدعاة الذين تُفضلهنّ. واعتُمد على حلقات سُجلت لهذا الغرض، وعلى مقاطع موجودة على مواقع الدعاة، وموقع يوتيوب.

وفي الفصلين الثاني والثالث، تم تحليل المقابلات التي أُجريت مع النساء الفلسطينيات اللواتي تتراوح أعمارهن ما بين ٢٠ و٦٦ عاماً ويعشن في المخيمات والقرى ومدن نابلس والخليل ورام الله، بحيث تم في الفصل الثاني تحليل أسباب إقبال النساء على مشاهدة الفضائيات، وأسباب انتقائهنّ لها من بين مئات الفضائيات الأخرى، بينما خُصص الفصل الثالث لرصد الأثر الذي تتركه الفضائيات على النساء في فلسطين، على صعيد الفكر والسلوك والمظهر الخارجي.

تطرح هذه الدراسة أسئلة عن العلاقة بين الدين ووسائل الإعلام والمجتمع، من خلال فهم ماهية مضمون ما يُبث على الفضائيات الدينية السلفية، وما يُقدم كنموذج للمرأة المثالية. كما تبحث الدراسة عن الأسباب التي تدفع النساء في فلسطين إلى الإقبال على مشاهدة المحتوى الديني في الإعلام، والأثر الذي يمكن أن يتركه هذا المضمون على فئات المجتمع، وبخاصة النساء، وبالتالي معرفة الدور الذي يمكن أن تلعبه التيارات الدينية، لاسيما السلفية، من خلال امتلاكها وسائل إعلام تخاطب من خلالها جماهير واسعة.

كما تتيح هذه الدراسة استقراء ملامح واقع المرأة مستقبلاً إذا ما ازداد تأثير هذه الفضائيات في ظل صعود نجم التيارات الدينية في عدد من الدول العربية، وبخاصة السلفية، وتحول نطاق اهتمام تلك الفضائيات من العبادات وتحفيظ القرآن ليشمل مناحي الحياة كافة، لاسيما تلك المتعلقة بالمرأة.

لم يكن من السهل دخول بيوت نساء لإجراء مقابلات معهن، وبخاصة في منطقة الخليل، لذلك تمت الاستعانة بزميلتين يعرفن النساء أو أحد أقاربهنّ، فتمكنّا بذلك من كسب ثقتهن، واستقبلْنَنا بكل صدر رحب، وأبدين أعلى درجات التعاون، فكانت المقابلات عميقة وصريحة. لكنّ بعضهنّ آثر ألا تُذكر أسماؤهنّ في البحث، فكان لهن ذلك، ولهذا سيُكتفى بذكر الأحرف الأولى من أسمائهن في المقابلات، أو الاستعاضة عنها بـ "أم فلان"، وسيُحتفظ بأسمائهنّ كاملة لدى مؤسسة **مواطن**.

تعاني المرأة العربية من الأمية والفقر وتدني مستوى التعليم والتهميش أكثر من الرجل.[٣] وتُعوّل الحكومات والمؤسسات الأهلية والأحزاب السياسية والجهات الحقوقية على وسائل الإعلام لتكون إحدى أهم الأدوات الفعالة لتحقيق برامجها الرامية إلى تنمية المرأة وتعزيز دورها ومكانتها في المجتمع.[٤]

وبعد انتشار الفضائيات العربية في العقد الأخير من القرن العشرين، ازداد التعويل على الفضائيات التي دخلت كل بيت، وأصبحت النساء

يُشاهدنها بحكم بقائهن في المنزل ساعات أكثر من باقي أفراد الأسرة. لكن جدلاً أُثير بعد سنوات حول القيم التي يُكرسها مضمون هذه الفضائيات لدى شرائح المجتمع كافة، وعلى رأسها المرأة. وقد رأى كثير من المهتمين بصورة المرأة في الإعلام، ومعظمهم من المؤسسات النسوية، أن ما يُبث إلى المشاهد العربي، وبخاصة المرأة، لم يؤدِّ إلى تطوير المرأة وتنميتها بسبب سطحية الإنتاج التلفزيوني العربي وضعفه، وعدم وضوح هويته العربية، وغياب الأجندات الجديّة التنموية. وخلُصت دراسات وآراء عدة إلى أن المضمون الإعلامي والإعلاني على الفضائيات العربية، يُكرّس دوراً سطحياً للمرأة ويستثمرها في الإعلانات لترويج القيم الاستهلاكية لصالح السوق العالمية فقط.

ولم يمضِ عقد من الزمن على ظهور الفضائيات العربية حتى برزت الفضائيات الدينية الإسلامية السنيّة والشيعية، والمسيحية، ثم تزايد عددها حتى أصبحت تشكل ربع عدد القنوات العربية. إذ يُشير تقرير صادر عن اللجنة العليا للتنسيق بين القنوات الفضائية العربية في اتحاد إذاعات الدول العربية، إلى أن عدد القنوات الدينية العام ٢٠١٠، وصل إلى ٤١ من أصل ٧٣٣ قناة عربية. لكن هذه الإحصائية لا تعكس العدد الحقيقي للقنوات والفضائيات الدينية التي تُقدم مضموناً دينياً حقاً، لأن تقرير اللجنة يُصنّف القنوات بأنها دينية عندما يصفها القائمون عليها بذلك، بينما القنوات الدينية التي يصفها مالكوها بأنها عامة أو جامعة لأنها تُقدم برامج صحية وثقافية مثلاً، لا تُدرج ضمن التصنيف الديني للقنوات. لذلك، فإن عدد القنوات الدينية بمعنى تلك التي تعتمد على الدين كرؤية وقاعدة، يصل إلى أكثر من ذلك بكثير.[٥]

وبغض النظر عن عددها الحالي المرشح للزيادة بسبب صعود نجم السلفيين في مصر، فإن مضمون ما يُبث على شاشاتها هو الأهم. وقد بدأ تسليط الضوء على هذا المضمون بعد سنوات قليلة من إطلاقها، كانت تصل ذروتها في كل مرة تُثار فيها فتنة طائفية بين المسلمين والأقباط، عندما كانت أصابع الاتهام توجه إلى دعاة السلفيين بالتحريض على القنوات.

قلة من المهتمين بأمر هذه الفضائيات، أو أولئك المهتمين بصورة المرأة في الإعلام العربي، مَن التفت إلى مضمون ما يُوجّه للمرأة على تلك الفضائيات ذات الطابع الديني، التي تعتمد على الدين لتناول بعض قضايا تنمية المجتمع وتطويره ومواجهة مشاكله.

وقد اقتصر ما يقال عن ما يُبث على هذه الفضائيات في هذا الإطار على بعض المقالات التي انتقدت فتاوى متشددة صدرت بشأن الختان وزواج المسيار وتعدد الزوجات. وبذلك، سُلط الضوء على مضمون الرسالة التي تحملها هذه الفضائيات، وليس على الأثر الذي يتركه هذا المضمون.

لم نجد دراسة تتحدث عن أثر هذه الفضائيات على المجتمع،[٦] وما إذا كانت هذه الفضائيات عاملاً من عوامل ازدياد ظاهرة التدين التي بدأت تعمّ العالم العربي في العقدين الأخيرين. ولا يُعرف ما إذا كان التدين ازداد بسبب انتشار الفضائيات الدينية، أم أن التدين هو الذي ساق الناس إلى مشاهدة الفضائيات الدينية. لكن الملاحظ أن هناك اهتماماً من قبل النساء في فلسطين بمشاهدة الفضائيات الدينية من بين فضائيات أخرى ذات مضامين مختلفة؛ أي أنه يوجد ما يشير إلى "أفضلية" مضمون الفضائيات الدينية على المضامين الأخرى لدى شريحة من المجتمع. ويعني تفضيل عدد من النساء الفلسطينيات مشاهدة الفضائيات الدينية على الفضائيات الأخرى أن الفضائيات الدينية أصبحت تتنافس مع وسائل الإعلام الأخرى التي يُتّهم معظمها بتكريس الصورة النمطية للمرأة، والتركيز على شكلها وجسدها دون عقلها وبقية إمكانياتها. فهل أصبحت الفضائيات الدينية بديلاً عن الفضائيات الأخرى؟ وكيف تؤثر هذه الفضائيات على وعي المرأة بمكانتها وبأهمية الدور الذي يمكن أن تلعبه في المجتمع؟ وهل هذه الفضائيات عنوان للمعلومات التي تحتاجها المرأة الفلسطينية لتغيير واقعها؟ وهل تتناول هذه الفضائيات المرأة بصورة أخرى تختلف عن تلك الصورة النمطية التي تكرسها وسائل الإعلام الأخرى؟ من هنا تنبع أهمية هذه الدراسة. إذ تساعد الإجابة عن هذه الأسئلة، وما تحملها

من معرفة بنظرة المرأة لمكانتها ودورها، على الوقوف على الدور الذي يمكن أن يلعبه الدين في تحديد "دور" النساء ومكانتهن في المجتمع. وسيكون ذلك من خلال التعرف على القيم التي ترسخها هذه القنوات والأهداف التي تُوجِّه إليها اهتماماتِ المرأة.

وبذلك تهدف الدراسة إلى الوقوف على طبيعة مضمون ما يُبث في القنوات الدينية الأكثر مشاهدة في فلسطين، والأثر الذي يتركه هذا المضمون في سلوك ووعي النساء.

وبهذا، فإن هذه الدراسة تسعى إلى أن تجيب عن الأسئلة التالية:

- ما القيم التي رسختها هذه الفضائيات في وعي هؤلاء النساء وإدراكهن؟
- ما دوافع مشاهدة تلك القنوات لدى النساء في فلسطين؟
- كيف أثرت برامج الفضائيات الدينية السلفية على سلوك النساء وقناعاتهن؟

وللإجابة عن الأسئلة الواردة أعلاه، فإن المنهجية المتبعة في هذه الدراسة هي:

- تحليل مضمون خطاب البرامج الدينية الذي تفترض الدراسة أنه "يمارس هيمنة على المشاهدات" تدفعهن لتبني سلوك معين. وقد بُني هذا الافتراض انطلاقاً من نظرية نظام الخطاب لميشيل فوكو، الذي يعتبر أن الخطابات تُمارس سلطة وهيمنة معينة، وأنها ليست خطابات الحقيقة نفسها.[٧]

لن تدخل هذه الدراسة في العلاقة بين النص الديني والخطاب الذي تُقدمه الفضائيات الدينية، فالنص، كما يرى فوكو، قد يكون له خطابات عدة، ونحن هنا معنيون برسم ملامح الخطاب الذي اختارته الفضائيات فقط.

- استطلاع رأي النساء حول أسباب مشاهدتهن الفضائيات الدينية، وآثار تلك المشاهدة على سلوكهنّ ونظرتهنّ إلى الدور الذي يمكن أن يلعبنه في المجتمع. تم ذلك من خلال مقابلات معمّقة مع عينة قصدية من أربعين امرأة يعشن وسط الضفة الغربية وشمالها وجنوبها (رام الله والقدس، نابلس، الخليل) يمثلن شرائح مجتمعية مختلفة في العمر ومستوى التعليم.

وتعتمد الدراسة هنا على نظرية الغرس الثقافي (cultivation theory) التي تقترح المقابلات كأداة لقياس "الأثر التراكمي" طويل المدى للتلفزيون على الجمهور الذي يختلف في اتجاهات أفراده وآرائهم من جهة، وما يتعرض له عند مشاهداته التلفاز من جهة أخرى. وتفترض أن التلفاز يُكسب الفرد سلوكيات تُسهل تفاعله في المجتمع.[٨]

العينة:

١- البرامج الأكثر مشاهدة من قِبل النساء اللواتي أجريت معهن مقابلات لغرض هذا البحث. هذه البرامج هي: "بصائر للناس" و"فضفضة" على قناة الناس، "نظرة شرعية" على قناة الحكمة، "فتاوى" و"راجع لك يا رب" على قناة الرحمة، رسائل متلفزة قصيرة على قناة الخليجية، إضافة إلى خُطب مسجلة للدعاة المفضلين لدى النساء المبحوثات أُعيد بثها على القنوات السلفية.

سُجلت أربع حلقات، وحُملت عشر، إضافة إلى مقاطع فيديو من موقع يوتيوب ومواقع الدعاة على الإنترنت. وقد انتُقيت الحلقات ومقاطع الفيديو التي تتعلق بالمرأة.

لوحظ أن البرامج التي يتم بثها على القنوات الدينية ليست كلها مباشِرة، بل يُعاد بث بعض الحلقات التي بُثت سابقاً قبل مدة "طويلة" قد تصل إلى سنوات عدة. لذلك، ليس هناك فترة زمنية محددة للمواد المرصودة. وقد تقرر عدم تحديد هذه الفترة لسببين؛ الأول أن الأفكار

التي يبثها أحد الدعاة يكررها في برامجه على مختلف الفضائيات الدينية، وهي أفكار لا تتغير مع الوقت كما لوحظ. والثاني والأهم أن تأثير ما يُبث على النساء تراكمي تخلقه برامج عديدة بُثت على فترة زمنية طويلة لا يمكن حصرها بأشهر قليلة فقط.

٢- عيّنة قصدية من أربعين امرأة، أُخذ بعين الاعتبار عند انتقائهن متغير مكان السكن من قرى ومدن ومخيمات في محافظات القدس ورام الله والخليل ونابلس. وقد مثّلت القدسَ خمسُ نساء في العينة، بينما اختيرت اثنتا عشرة امرأة من رام الله، وعشر من الخليل، وثلاث عشرة من نابلس.

كما أُخذ بعين الاعتبار مُتغيّرا العمر (بين ٢٠ و٦٦) ومستوى التعليم (ابتدائي، ثانوي، جامعي). ويرد في هذه الدراسة "وصف ذات/ ذوات مستوى تعليمي متدنٍّ" لأولئك الحاصلات على شهادة دون الثانوية العامة.

وقد تم اختيار العيّنة قصداً من النساء اللواتي يداومن على ارتياد المساجد وحلقات الذكر والدروس الدينية فيها. وانتُقيت من بينهنّ النساء اللواتي يُشاهدن القنوات الدينية بنسبة ثلاث ساعات يومياً على الأقل.

وقد أُجريت المقابلات بين ٢٠١١/٧/٢٨ و٢٠١١/١١/٣٠.

أحدث الانتشار "المفاجئ" للفضائيات في أوائل تسعينيات القرن الماضي ارتباكاً اجتماعياً لهذا "الوافد الغريب" الذي دخل كل بيت وجلب معه محتويات ثقافية واجتماعية وإخبارية تختلف عن تلك التي كانت سائدة منذ دخول جهاز التلفاز إلى البيوت العربية.

وكان أكثر ما يُقلق المفكرين والأكاديميين في العالم العربي هو المحتوى التلفزيوني الغريب عن الثقافة العربية والإسلامية مثل الأفلام الأجنبية الغربية، والمسلسلات المكسيكية، والتركية، والأغاني التي تعكس طابعاً غربياً.

محمد المسفر أجرى دراسة بعنوان "تحليل الرسالة الإعلامية: تأثير الفضائيات العربية على الشباب العربي"، نُشرت في العدد الثالث لـ مجلة **المفكر** الصادرة عن جامعة محمد خضير ببسكرة في الجزائر العام ٢٠٠٨. وقد اعتمدت هذه الدراسة على تحليل تأثير محتوى الفضائيات العربية من وجهة نظر القائم بالاتصال، وهي الفضائيات؛ أي تحليل الرسالة الإعلامية. وقد توصلت تلك الدراسة إلى أن المواطن العربي واقع تحت تأثير إعلام فضائي متعدد الرسائل والاتجاهات والتناقضات، وأن أنماط الرسائل الإعلامية الأخطر التي يتعرض لها الشباب من خلال مشاهدة القنوات الفضائية العربية هي الأنماط الحضارية المعولمة؛ سواء في جانبها الثقافي أو القيمي أو الاستهلاكي. كما توصل المسفر إلى أن المؤثرات الإعلامية الغربية على الشباب العربي تميل إلى الطابع "السلبي"؛ سواء في القيم الأخلاقية أو الدينية، لأنها تسعى إلى تمييع الهوية والانتماء والولاء للهوية العربية والإسلامية. ويرى المسفر أن الفضائيات العربية التي يتزايد تأثيرها لم تنجح في مواجهة هذا البث الفضائي المعولم.

وفي دراسة تطبيقية واسعة أجرتها كلية الإعلام بجامعة القاهرة ومركز الخليج للدراسات الإستراتيجية على عينة من وسائل الإعلام المصرية والبحرينية العام ٢٠٠٦ على مصر والبحرين، بعنوان **الإعلام والمرأة في الريف والحضر**، اهتمت نجوى كامل بصورة المرأة العربية في وسائل الإعلام المصرية والبحرينية من وجهة نظر القائم بالاتصال أيضاً، أي وسائل الإعلام البحرينية والمصرية، وكذلك متلقي الاتصال من النساء، وهي الدراسة الوحيدة التي وجدناها عن أثر الفضائيات على النساء. وجاء في تلك الدراسة أن هناك أربعة تيارات فكرية تتحكم في السياسات الإعلامية العربية هي التيار التقليدي الذي "يستمد مشروعيته من بعض الموروثات الثقافية والسلبية تجاه المرأة"، والتيار الاجتماعي التحرري الذي "يرجع إلى دعوات رفاعة الطهطاوي وقاسم أمين والطاهر حداد وخير الدين التونسي وعبد الرحمن الكواكبي، الذين طالبوا بتحرير المرأة"، والتيار النسوي الوافد من الغرب، الذي "يحصر نضال المرأة

في أطر معزولة عن حركة المجتمع، ويضع أولويات لا تمثل بالضرورة قضايا مهمة للمرأة العربية"، ثم التيار المعولم الذي "يستفيد من المرأة كعنصر استهلاكي ومادة إعلانية جذابة وكقوة عمل رخيصة".

وعلى الرغم من أن الدراسة المصرية البحرينية توصلت إلى أن ثمة "تطوراً" قد طرأ على المعالجات الإعلامية لهذه القضايا على المستويين الكمي والكيفي مقارنة بالمراحل التاريخية السابقة، ومقارنة بالدراسات التي عُنيت بهذا المجال المهم في حقل الدراسات الإعلامية"، فإن نتائجها أشارت أيضاً إلى أن وسائل الإعلام العربي لا تزال تُرسخ الرؤية التقليدية للمرأة، لأنها تركز على "القيم التراثية التي تؤكد على مشروعية التمايز الاجتماعي والثقافي بين الجنسين"، وتنحاز للصور والأدوار التقليدية التي تتمثل في صور الأم والزوجة والابنة فقط، كما تركز على مرحلة الخصوبة في حياة المرأة، كما ترى تلك الدراسات أن السياسات الإعلامية لوسائل الإعلام بمجملها تتحيز ضد الإناث.

وجاء في الدراسة نفسها أن النساء في مصر والبحرين يفضلن بالدرجة الأولى أن يشاهدن المسلسلات الدرامية ثم البرامج الدينية في مصر، والبرامج السياسية في البحرين. واحتلت برامج الأزياء والديكور مراتب متأخرة في تفضيلات المجموعتين.

وتتفق عواطف عبد الرحمن في دراستها **المرأة والإعلام تحديات وإشكاليات** مع مضمون ما جاء في الدراسة السابقة، إذ توصلت نتائج تلك الدراسة، التي اهتمت فيها أيضاً بما ينتج عن القائم بالاتصال، إلى أن وسائل الإعلام تتجه لتدعيم ما هو قائم من اتجاهات وآراء أكثر من أنها تهتم بتغيير وخلق اتجاهات جديدة تُبصّر المرأة بحقوقها.

وتوصلت الدراسة إلى أن الأمّيّة وانخفاض مستوى المعيشة، عاملان مهمّان لإعراض المرأة عما يُبث لها من مضامين إعلامية في قنوات الإعلام المختلفة، كما ترى أن الإعلام المصري يركز على القاهرة والمناطق الحضرية، بينما لا تلقى الهوامش والمناطق النائية والصعيد اهتماماً مماثلاً.[٩]

كما صدرت دراسات تهتم بمضمون الرسالة الإعلامية والمواضيع التي تتناولها، ولكنها لم تتناول تأثير الرسالة على المتلقين. إذ جاء في دراسة مسحية مقارنة بعنوان **برامج المرأة بين الواقع والدراسة** أجرتها أسماء سمير إبراهيم لنيل شهادة الماجستير من كلية الإعلام بجامعة القاهرة العام ٢٠٠٩، ولم تُنشر، أن مواضيع الماكياج والتجميل والشعر تحتل سلم أولويات البرامج الخاصة بالمرأة التي تقدمها الفضائية المصرية.

أما في فلسطين، فقد انصب اهتمام الدراسات التي تُعنى بالمرأة والإعلام على صورة المرأة في الإعلام وكيفية "معالجة الصورة النمطية" للمرأة الفلسطينية.

فقد أجرى مركز شؤون المرأة في غزة دراسة العام ٢٠٠٩ على ٢٧ رجلاً و٦١ امرأة في غزة، جاء في أهم نتائجها أن الصورة التي تُقدم عن المرأة، وتحديداً الغزية، في وسائل الإعلام الفلسطينية هي صورة نمطية، إذ تُقدَّم المرأة كتابع للرجل وليس كشخصية مستقلة، كما تظهر مقهورة، أو جاهلة وغير واعية. وتغيب قصص النجاح عن وسائل الإعلام الفلسطينية، وكذلك القضايا الاجتماعية والتنموية والثقافية ولا يُخصص لها مساحة كافية.[١٠]

وتتفق هذه النتائج مع نتائج دراسة أخرى، هي رسالة ماجستير للباحثة الفلسطينية ميادة مهنا بعنوان **صورة المرأة في الصحافة الفلسطينية** نوقشت في كلية الإعلام بجامعة القاهرة في تشرين الأول العام ٢٠٠٩، وجاء في تلك الدراسة التي تمت على القائمين بالاتصال من المحررين والكتّاب المهتمين بشؤون المرأة في صحف فلسطينية، أن صورة المرأة الضعيفة المظلومة المهمَّشة هي السائدة. كما أظهرت الدراسة أيضاً أنَّ طبيعة الخطاب الإعلامي تجاه المرأة تتأثر بالظروف السياسية المتمثلة في الاحتلال والانقسام السياسي الفلسطيني والرقابة السياسية على الصحف والثقافة السائدة في المجتمع الفلسطيني وعاداته وتقاليده،

وكذلك الظروف الاقتصادية المتعلقة بدخل الصحافيين والمهنية المتعلقة بالسياسة التحريرية ومزاجية رؤساء التحرير في صحف الدراسة التي يغلب عليها الطابع الذكوري.[١١]

وفي الضفة الغربية، أصدرت المبادرة الفلسطينية لتعميق الحوار (مفتاح) في كانون الأول العام ٢٠١٠، تقريراً يرصد صورة المرأة الفلسطينية في صحف **القدس** و**الأيام** و**الحياة الجديدة**، بيّنت نتائجُه أن تناول القضايا والنشاطات النسوية يزداد في فترات المناسبات النسوية، مثل يوم المرأة وعيد الأم. إذ يزداد عدد ومساحة الأخبار والتقارير والمقالات التي تتناول المناسبة، وأن هذا الازدياد هو نتيجة تزايد عدد النشاطات والفعاليات التي تنظم لإحياء المناسبة وتحظى بتغطية إخبارية في الصحف. وبالتالي ليس نتيجة تغيُّر في السياسة الإعلامية تجاه قضايا المرأة وواقع عدم المساواة بين الجنسين في المعالجة الإعلامية.

كما أشارت الدراسة إلى أن التغطية الإخبارية ظلت النمط الطاغي على حساب التقارير والتحقيقات الصحافية، ما يشير إلى أن الصحف لا تزال في موقع "المتلقي" للحدث وليس المُخطط والصانع.

وأشار التقرير إلى أنه لا يزال يوجد تمييز بين مستوى وصورة حضور كل من المرأة والرجل في وسائل الإعلام، الأمر الذي يعكس عدم المساواة بين الجنسين في المجتمع الفلسطيني، والذي ينبع من الأدوار والمسؤوليات التي يحددها هذا المجتمع للمرأة والرجل، في مجالات اقتصادية واجتماعية وسياسية أساسية، ما يُسهم في استمرار شيوع المفاهيم والأفكار السائدة لدى الجمهور، بما في ذلك في أوساط الإعلاميين، وهي مفاهيم وأفكار تُرسخ صورة ذهنية نمطية قائمة على التمييز، ومستمدة في أحيان كثيرة من الجهل بالقوانين والحقوق.

وقد استنتج التقرير إلى أن تدني الوعي بالنوع الاجتماعي وشيوع المفاهيم التقليدية حول المساواة بين الجنسين يؤثر على مستوى

ومضمون التناول الإعلامي للقضايا الاجتماعية، حيث يتم تغليب القضايا السياسية ومحاولة إظهار تماسك النسيج المجتمعي في مواجهة الضغوط الناجمة عن السياسات التعسفية للاحتلال الإسرائيلي وإخفاء عيوب ومشكلات المجتمع على حساب تناول المشكلات الاجتماعية، كقضايا المرأة والشباب والطفل والعنف الأسري والتحرش الجنسي، مع غياب السياسات الإعلامية الموجهة لتناول مثل هذه القضايا، فيما يكاد يكون تناول القضايا ذات العلاقة بالدين من "المحرمات".

اهتمت دراسات فلسطينية أخرى بتجربة الصحافيات الفلسطينيات والعقبات التي تواجههن في عملهن، مثل تلك التي أعدتها دولت عريقات بعنوان **التجربة الإعلامية للمرأة الفلسطينية** وصدرت عن جمعية النجدة الاجتماعية لتنمية المرأة الفلسطينية استعرضت فيها محطات بارزة في حياة الصحافيات الفلسطينيات منذ ثلاثينيات القرن الماضي، والظروف التي يعملن بها، والصعوبات الاجتماعية التي يواجهنها كقلة تقدير المجتمع لهنّ، والتمييز ضدهنّ لصالح الرجل، وتدني الأجور. لكنها لم تتطرق إلى مضمون الإعلام بأي شكل من الأشكال.

يُلاحظ أن الدراسات العربية والفلسطينية التي تمت مراجعتها وأُشير لها أعلاه إما أنها تهتم بموضوع المرأة والإعلام من وجهة نظر القائم بالاتصال المتمثل بوسيلة الإعلام وبالصحافيين والصحافيات أنفسهم، أو أنها تهتم بالرسالة التي تصدر عن القائم بالاتصال، أي محتوى المضمون الذي يُبث في وسائل الإعلام، لمعرفة الأثر الذي يُتوقع أن تتركه تلك الرسالة على المتلقين. ولم تتناول أيٌّ من تلك الدراسات أثر الرسالة الإعلامية من وجهة نظر المتلقي نفسه. كما تناولت الدراسات المذكورة الفضائيات بشكل عام، أو المحلية (كمصر والبحرين) وليس الفضائيات المتخصصة بقضايا معينة أو تلك التي لها طابع ديني. لكن، هناك دراسات نادرة اهتمت بمضمون البرامج والفضائيات الدينية، أهمها أوراق بحثية قُدمت إلى مؤتمر نظمه مشروع كامبردج للإعلام العربي في كانون الثاني العام ٢٠١٠ ناقشت مضامين البث الديني من

عينة مختارة من فضائيات دينية إسلامية ومسيحية ويهودية، وبرامج دينية في قنوات مثل "الجزيرة" و"MBC" و"دبي".

يقول خالد الحروب محرر الكتاب الذي صدر بالأوراق المذكورة إن الفضائيات والبرامج الدينية لم تتمكن من تحدي سقف الحريات المنخفض كما كان يؤمل، بل كانت "منابر لتنفيس الاحتقان والغضب أكثر من كونها وسيلة من وسائل تعميق الوعي الجمعي الذي يدفع باتجاه العمل الإيجابي الفعال".[١٢]

وقد ركزت الأوراق المقدمة على ما تبثه هذه البرامج من قيم وأفكار، وعلى العلاقة التي تربطها مع الأنظمة السياسية الحاكمة؛ أي أنها اهتمت بمحتوى الرسالة الإعلامية، وتوصلت إلى أنها كانت "متساوقة مع الوضع السياسي القائم"، ومنه الصراع السني الشيعي، وذلك من خلال تعزيز الطائفية و"نقل هذا الصراع إلى الأثير".

لم تهتم أيٌّ من الدراسات بأثر الفضائيات الدينية على النساء، إلا دراسة واحدة أجرتها ريم عبد الحميد كموضوع لرسالة الماجستير في الجامعة الأمريكية بباريس قُدمت العام ٢٠٠٩، وكان موضوعها "مفهوم الطاعة الجنسية عند النساء على ضوء مشاهدة قناة اقرأ الفضائية"، التقت فيها الباحثة بأربع نساء في فلسطين، وسألتهنّ عن مفهوم الطاعة الجنسية وما تعززه قناة اقرأ في ذهنهنّ تجاهها. وتوصلت الدراسة إلى أن الفضائيات الدينية، وقناة اقرأ نموذجاً، مكّنت الرؤية السعودية عن الإسلام من أن تسود، إذ خلُصت إلى أن قناة اقرأ تحول دون حصول النساء على الكثير من حقوقهنّ.

واستنتجت من المقابلات المعمقة أن مضمون ما يُبث يُلزمهنّ بالطاعة الجنسية، الأمر الذي يؤدي بالمرأة إلى أن تقوم بأدوار صعبة وميكانيكية بعيدة عن رغبتها الشخصية، فأصبح الواجب الجنسي، بالنسبة لهؤلاء النساء، هو الالتزام بـ "طاعة الله" التي تتطلب من المرأة أن تكون دائماً عند طلب زوجها مهما كان شعورها.

الفصل الأول

متابعة الفضائيات الدينية سلوك اجتماعي أم خيار إعلامي

الفصل الأول

متابعة الفضائيات الدينية سلوك اجتماعي أم خيار إعلامي

برزت الفضائيات الدينية بعد سنوات قليلة مما دأب البعض على تسميته بـ "ثورة الاتصالات في العالم العربي". لذلك، كثيراً ما يُفسر انتشارها على أنه انعكاس لمفهوم السوق الإعلامية الحرة التي ازدهرت بعد تلك الثورة، وتزامنت مع انتشار البث الفضائي وإطلاق القمر الصناعي عرب سات. ومن أهم سمات هذه السوق تعدد الخيارات، وخضوعها إلى قوانين العرض والطلب والربح والخسارة. لذلك، تُصنف الفضائيات الدينية من منظور إعلامي بأنها وسائل إعلام متخصصة بمضمون البث الديني، يقابلها تلك المختصة بالموسيقى أو الأخبار أو الأفلام والوثائقيات.

وبذلك أصبح المشاهد العربي، بفضل هذه السوق، أمام تشكيلة من وسائل الإعلام، بحيث يجد نفسه مضطراً لأن يقوم بدور "حارس البوابة"، فيختار ما يجده ملائماً ومتفقاً مع اتجاهاته وميوله، ويترك ما يتعارض مع آرائه وأفكاره. وهو ما يُسمى حسب النظرية الانتقائية في الإعلام بـ "التعرض الانتقائي لوسائل الإعلام".[١٣] وتقول هذه النظرية إن المتلقي ينتقي وسيلة الإعلام التي تلائم معتقداته وأفكاره، ويبتعد عن تلك التي تخالفها. أي أن المتلقي، وهو المشاهد هنا، تكون لديه دوافع ثقافية ونفسية ليس لقبول مضمون وسيلة إعلام معينة فحسب، بل لانتقائها واختيارها دوناً عن غيرها.

لذلك، فإن وسائل الإعلام، حسب النظرية الانتقائية، لا تُحدث تغييراً وتحويلاً بآراء ومواقف المتلقين،[١٤] أي مشاهدي الفضائيات الدينية، بل تعمل على تدعيم آرائهم الموجودة مسبقاً، والتي جعلتهم يُقبلون على مشاهدتها. وتُفسر هذه النظرية حقيقة كون النساء المُقبلات على الفضائيات الدينية من المتديّنات فقط.

ويختلف هذا السلوك الانتقائي للمشاهَدة مع ما كان سائداً قبل انتشار البث الفضائي، عندما لم يكن لدى المشاهد خيارات عديدة ينتقي منها ما يُلائمه. بل كان الإعلام الرسمي الممول من الدولة هو الذي ينتقي للمشاهد المعلومات، ويلعب بذلك دور حارس البوابة حسب مصلحة الحكومات القائمة على وسائل الإعلام تلك.

لكن أحمد محمد صالح يرى أن ثورة الاتصالات والعولمة لم تُحدثا تغييراً في وسائل الإعلام وسلوك المشاهد فحسب، بل "أحدثتا تغييراً في الدين نفسه" لأنهما جعلتاه يصبح "أكثر تنوعاً من السلع"، الأمر الذي زاد الإقبال عليه. ويدلل صالح على ذلك بانتشار الكتب والأشرطة المدمجة وألعاب الأطفال الدينية وأدوات الحجاب والمهرجانات، وليس فقط الفضائيات الدينية. ويطرح صالح سؤالاً عما إذا أصبح الدين في هذا العصر يعتمد على نوع جديد من المؤسسات مركزها الأسرة والمجتمعات المحلية والمتخيلة في وسائل الإعلام مثل الكيانات الافتراضية على الإنترنت أكثر من اعتماده على المؤسسات التقليدية مثل الكنيسة أو المسجد.[١٥]

لكن انتشار الفضائيات الدينية لا يمكن تفسيره من وجهة نظر إعلامية بحتة مرتبطة بثورة الاتصالات فقط، ولا تجارية من منظور السوق الحرة متعددة الخيارات أيضاً. فانتشار تلك الفضائيات وتجاوز عددها المائة قناة في نهاية العام ٢٠١٠، يدل على رواجها وموافقتها لرغبات شريحة من المجتمع بدليل أن هناك مَن ينتقيها ويطلبها. فلماذا نرى الفضائيات الدينية من منظور إعلامي فقط؟ وما العوامل المجتمعية التي تدفع إلى الإقبال على مشاهدتها؟

من غير المنصف أن ننظر إلى الفضائيات الدينية على أنها أحد أنواع وسائل الإعلام. ففي ذلك شيء من الخطأ وعدم الدقة، لأنها تفتقد آلية الإبهار التي يقول بيير بورديو إنها تلعب دوراً في تشكيل الواقع بالاعتماد على قوة الصورة. والسبب في ذلك هو أن هذه الفضائيات لا تعتمد على تقنيات متطورة للصورة والمؤثرات البصرية والصوتية.[١٦] ولا تتدفق المعلومات باتجاهين منها وإليها، بل تتدفق باتجاه واحد من الوعاظ أو الشيوخ الدعاة عادة إلى المتلقين وهم الجمهور بمختلف أطيافه. وهي بذلك أبعد ما تكون عن المفهوم التفاعلي للإعلام الذي من المفترض ألا يتأثر بـ "شخصية الإعلاميين القائمين بالنشاط الإعلامي" إذا ما جاز لنا وصف الدعاة مُقدمي البرامج والمحاورين بـ "الإعلاميين".

كما أن وسائل الإعلام لا يُفترض أن تمنع أي فئة من المجتمع من الظهور فيها أو المشاركة بسبب الجنس، والمقصود هنا النساء، وهو ما تفعله غالبية الفضائيات الدينية.

وليس هذا فحسب، بل إن مقدمي البرامج في الفضائيات الدينية ليسوا إعلاميين يُمارسون النقد ويتحرّون صدق المعلومات أينما وُجدت، كما يُفترض بالصحافيين أن يفعلوا، بل هم دعاة اكتسبوا خبرتهم من المنابر ودروس الوعظ والدراسة الدينية، ولديهم مواقف مسبقة يتبنونها ويدافعون عنها دون التزام الحياد. يُضاف إلى كل ذلك تجاهل استخدام أدوات وفنون الإعلام مثل السينما والدراما والموسيقى وافتقارها للتقارير والمقابلات الميدانية والتحقيقات. بل إن غالبية الفضائيات تعتمد على مهارات بدائية غير محترفة في التصوير والجرافيك والصوت والاستوديوهات والديكورات. إذ يكون إنتاج البرامج الدينية عادة بتسليط الكاميرا على أحد الدعاة الذي يُلقي موعظته دون أن يناقشه أو يقاطعه أحد، حتى يأذن هو بفتح المجال للاتصالات في نهاية الحلقة. وقد يكون في البرنامج مَن يطرح أسئلة على الشيخ المستضاف، لكن لا يمكن اعتبار تلك البرامج أنها حوارية، لأن مَن يقوم بدور "المذيع" هنا لا يطرح على الضيف أي أفكار مخالفة لرأيه ولا يناقشه في صحتها، بل يوافق

عليها ويُعلن انحيازه لها ويشاركه الدفاع عنها. وينقل في أغلب الأحيان أسئلة المشاهدين ومشاركاتهم التي غالباً ما تدور حول العبادات.

لذلك، فإن تلك القنوات هي أقرب ما تكون إلى المنابر وحلقات الذكر في المساجد منها إلى وسائل الإعلام. أي أن تلك الفضائيات الدينية تُستخدم كأدوات وعظ ونشر للدين فقط.

إن واقع هذه الفضائيات غير المتطور تقنياً من المنظور الإعلامي، نظراً لكل الأسباب التي أشرنا لها، يزيد من أهمية دراسة دوافع الإقبال على مشاهدة هذه الفضائيات، والأثر الذي تتركه على مشاهديها، ويؤيد اعتماد النظرية الانتقائية التي يمكن من خلالها الافتراض أن الإقبال على مشاهدة القنوات الدينية وتأثر سلوكهم بمضمونها مرده أسباب ذاتية شخصية واجتماعية أكثر منها إعلامية أو استهلاكية.

كما لا يمكن تفسير الإقبال على تلك الفضائيات بخروجها عن المألوف وحداثتها، لأن البرامج ذات المضمون الديني كانت موجودة قبل انتشار الفضائيات الدينية بثلاثة عقود، أي في سبعينيات القرن الماضي عندما كان البث التلفزيوني مقتصراً على الإرسال الأرضي. إذ كان الشيخ محمد متولي الشعراوي يظهر على التلفزيون المصري في عصر السادات أكثر من السادات نفسه.[١٧] وقد كانت بعض القنوات الأرضية العربية تعيد بث برامج الشيخ الشعراوي مثل التلفزيون الأردني، ولم يكن الإقبال على مشاهدة برامجه مرتفعاً إلى حد الإقبال على البرامج والفضائيات الدينية حالياً.

وترى ليلى عبد الوهاب أن ظهور الشعراوي على التلفزيون المصري كان انعكاساً لصعود التيارات الإسلامية في عهد السادات، الأمر الذي يصلح لتفسير ظهور الفضائيات الدينية كنتيجة لموجة المد الديني الأعنف التي تلت حرب الخليج الأولى في سنوات التسعينيات، حيث تعززت لدى العرب المسلمين مشاعر دينية ضد "الغزو الصليبي" للعراق.[١٨] وقد نجح صدام حسين عندها باللعب على وتر الدين وتصوير الحرب الأمريكية

على العراق على أنها استهداف للإسلام. وترسّخت تلك المشاعر أكثر بعدما فشل الغربيون في التحرك لصالح العرب المسلمين في فلسطين والبوسنة عندما رفض الإسرائيليون والمسيحيون الصرب الامتثال لأوامر الأمم المتحدة.[١٩] فكان التمسك بالهوية الدينية رد فعل على ذلك القهر، وازداد انتشار مظاهر التدين كالذهاب إلى المسجد والحجاب وإطلاق اللحية. واستمر هذا الوضع وتعمقت الحاجة للتدين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر و"وصم" الإسلام بالإرهاب، ثم احتلال أفغانستان والعراق وقمع الانتفاضة في فلسطين. هنا كانت التيارات الإسلامية قد تجذّرت وترسّخت بصورة يصعب إنكارها من قبل الحكومات والأنظمة، وبخاصة بعد انتشار القنوات العربية الفضائية، لاسيما قناة "الجزيرة" التي أسمعت أصوات المعارضة في العالم العربي، وعلى رأسها التيارات الإسلامية، وبخاصة الإخوان المسلمين.

في هذه البيئة الخصبة بالدوافع الدينية، انبثقت الفضائيات الدينية التي أصبح الدعاة وخطباء المساجد الذين يظهرون على شاشاتها يتحدثون عنها كبديل للفضائيات الأخرى غير الدينية، وبخاصة الفنية والغنائية التي تُسوّق لأنماط حياة تشبه تلك السائدة في "الغرب المحتل الذي يتربص بالمسلمين".

ويرى محمد الغيلاني أن دوائر القرار السياسي في الدول العربية قبلت بظهور الفضائيات الدينية استجابة لمد التدين وخشية من توظيف قوى غير متحكم بها.[٢٠] وقد استجابت لهذا المد أيضاً قنوات ذات طابع ليبرالي كـ "إم بي سي"، و"المحور"، و"دريم"، وأصبحت تحرص على تخصيص مساحة من بثها للبرامج الدينية.

وبناء على كل ذلك، فإن متابعة الفضائيات الدينية هي سلوك ديني، والسلوك الديني هو بدوره سلوك اجتماعي يعتقد بعض علماء الاجتماع أنه يهدف إلى حل مشاكل اجتماعية يواجهها الناس، أهمها هنا الاغتراب الناتج عن الغزو الأجنبي والقهر السياسي وما يؤديان إليه من فقر وجهل وتخلف وانغلاق ونفور من كل سمات المحتل الغازي.

تُعد النظرية الوظيفية للدين إحدى النظريات التي تمدنا بفهم للدين كظاهرة اجتماعية عامة. ومن أهم من تبناها توماس أودي (Thomas O'dea) الذي يرى أن الناس يُقبلون على الدين وما يحمله من اعتقاد وممارسات للتكيف مع ثلاث خصائص رئيسية أصيلة في الوجود الإنساني هي اللامتوقع، والعجز، والندرة. أي أن حاجة الإنسان للدين، حسب أودي، تصبح مُلحة عندما يعيش في ظروف عدم اطمئنان تؤثر على أمنه ورفاهيته بشكل لا يمكنه التحكم فيه، وكذلك عندما يشعر بالعجز أمام بيئته وحاجاته، وأيضاً أمام الندرة في الإمكانيات المتاحة التي تتطلب توزيعاً للأدوار والسلع والقيمة. وبناء على ذلك، يضع أوديه ست وظائف للدين،[٢١] أهمها أنه "يقدم السند العاطفي" للفرد والجماعة، ما يُمكّنه من مواجهة عدم الطمأنينة والقلق والهزائم والفشل والقهر، ويساعد في التقليل من السخط والاستياء، ويجعله يرضى بالواقع. ويكون ذلك من خلال إقامة الشعائر والعبادات الفردية والجماعية التي تخلق "حالة من الاستقرار".

ومن وظائف الدين حسب أودي "تقديس المعايير والقيم السائدة في المجتمع"، الأمر الذي يؤدي إلى استمرار سيطرة الأهداف الجمعية على رغبات الفرد، وهو بذلك "يعطي مقاييس للقيمة يمكن من خلالها فحص معايير نظامية قد تؤدي إلى الاعتراض على الظروف والأشكال القائمة". ويكون ذلك قد حدث منذ الطفولة لأن الدين يتدخل في نضج الفرد من الطفولة إلى الممات، ويساهم في تحديد الذاتية.

ولعل ماكس فيبر في نظرية "الأخلاق البروتستانتية" هو أفضل من فسر الأدوار المتعارضة التي يمكن أن يلعبها الدين، والتي قد تؤثر على المدى البعيد في إحداث نتائج على الأنشطة الاقتصادية. وقد حاول إثبات علاقة بين البروتستانتية الكالفانية والرأسمالية الحديثة. يقول الإدعاء الكالفاني إنه "بسبب خطيئة آدم، فإن جميع الناس سوف يُختارون ليكونوا من الناجين من العذاب، لكن لا يمكن لإنسان أن يعرف تقدير الله بالنسبة للمؤمنين والناجين، ولهذا فإن الجميع يجب أن يبذلوا

قصارى جهدهم في طاعة الله على هذه الأرض". ومن هذا التفسير أعطى الكالفانيون أهمية للعمل ولحق كل فرد في اختيار ميدان عمله. وقد كان لهذين المبدأين الفضل الأكبر في إحراز ثورة اقتصادية في أوروبا وما تلاها من تقدم ورفاهية. وقد ترافق ذلك مع قبول الكالفانيين بمبدأ عدم العودة إلى الشعائر والاعترافات الدينية، "فلا الكنيسة ولا رجل الدين ولا أي شخص يمكن أن يقدم للإنسان أي شيء"، بل هو وحده (الإنسان) وبكفاحه المستمر، وبعمله، يستطيع أن يصل إلى "مرحلة الخلاص"، وأن المنافسة الحرة، وبلا قيود، من شأنها أن تدفع بالفضلاء إلى القمة.[٢٢]

وعلى النقيض من الكالفانية، تخبو قيمة العمل لدى الكاثوليكية التي ترى أن الهدف في الحياة هو "الانسحاب من الحياة الأسرية والجنسية والعلاقات الطبقية والملكية والممارسة السياسية" وهو ما أسماه فيبر "الزهد الدنيوي".

ومن هنا، ذهب فيبر إلى وجود علاقة دائمة بين الأوضاع الاقتصادية والسياسية لمجتمع معين وبين التفسيرات الدينية للمعنى المجتمعي. ويقول في هذا الإطار إنه "ليس هناك أخلاق دينية مهما كانت درجة أصالتها تنبع من عزلة تامة عن الأحداث والظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المجتمع الذي نبعت منه".[٢٣]

ويرى فيبر الذي اعتمد على مفهوم الزهد هذا عند دراسته لمجتمعات الهند والصين والشرق الأوسط، أن اختفاء مفهوم الزهد في الإسلام يُفسر عدم ظهور الرأسمالية العقلانية في المجتمعات الإسلامية. فالإسلام برأيه متناقض مع مذهب التطهير في نظرية الأخلاق البروتستانتية، لأنه يتبنى "اتجاهاً شهوانياً خالصاً".

وقد تعرض هذا التفسير للانتقاد عندما استخدمه لمقارنته لمجتمعات الشرق والغرب. إذ يرى براين تيرنر، مثلاً، أن فيبر يفترض في هذا ثبات الظروف الرأسمالية العقلانية، وأنه ركز على طبيعة المجتمع

الإسلامي من النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية كصورة من السيطرة الإرثية، فيما عالج دور القيم كشيء ثانوي، واعتمد في ذلك على الأوضاع الاجتماعية الإسلامية. ويرى تيرنر أن فيبر لو تمسك بالتفسير القائل إن التوترات التي فرضها البناء السياسي والعسكري قد حالت دون تطوير تصنيع إسلامي، لكان إنجازه في هذا الصدد يلفت النظر حقاً.[٢٤]

على الرغم من الانتقادات التي وُجهت لنظرية الأخلاق البروتستانتية، فإن فيبر استطاع تفسير العوامل السوسيولوجية، وبخاصة تلك المتعلقة بالدين التي أحدثت تغييراً اقتصادياً عندما أخرجت "الزاهد من الصوامع إلى المنزل والأسواق العامة"،[٢٥] وساهمت في ظهور الرأسمالية الحديثة وما رافقها من تطور اقتصادي انعكس، فيما بعد، على جميع مناحي الحياة.

لكن الدين يلعب دوراً مختلفاً عندما يكون التغيير في مجتمعات مستَعمرة أو لا تزال تعاني من الاستعمار. إذ ترى إليزابيث نوتنغهام (Elisabeth Nottingham) هنا أن الدين يُعطى وظيفة كبرى في الجماعات المركبة غير الصناعية، لأنه يساعد في "التخفيف من مواقف الضغط الناتجة عن حالات التغيير التي تتميز بها هذه المجتمعات"، وإن الدين بالنسبة لشعوب معينة "مصدر من مصادر التفسيرات الأخلاقية لاستمرارها كشعوب ممتازة أو مصدر من مصادر التحدي الذاتي ضد الغزو الخارجي، أو أداة ثورية في يد المضطهدين ضد القوى والطبقات المسيطرة".[٢٦]

وتقول نوتنغهام إن الحركات الدينية الاجتماعية في المجتمعات المستعمرة تقوم بنوع من هذا التحدي، وإن هذه "الحركات تحاول مواجهة المطالب القومية بتقديم تفسيرات جديدة للقيم التقليدية البحتة ومقاومة السيطرة الأجنبية في شكلها الفكري أو المادي، فالدين هنا بمثابة سلاح الاعتراض المتاح في يد الشعوب المستعمرة ضد المستعمر".[٢٧]

ويفسر هذا القولُ "حساسيةَ" كثير من المنظرين الإسلاميين إلى الحضارة الغربية، وما تحمل من قيم جديدة. وهي حساسية وصلت إلى درجة العداء بعد الهزائم السياسية واستفحال الفقر والتبعية التي سببها، بالدرجة الأولى، الاحتلال والاستعمار.

وعلى عكس ما قام به الكالفانيون في القرن السابع عشر، اختار الإسلاميون العودة إلى الشعائر والنصوص الدينية، باعتبار أن ما يواجهونه من هزيمة هو بسبب أخطائهم وبعدهم عن الدين. وهو اختيار غالباً ما كانت المرأة تدفع ثمنه.

وقد اعتمدت ليلى عبد الوهاب على هذا الرأي عند تفسيرها صعود التيار الإسلامي المتشدد بعد حالة الانكسار السياسي إبان هزيمة العام ٦٧ وما تلاها من تبعية للنظام الرأسمالي، وتزايد القمع والقهر السياسي للجماهير وحركات التحرر المعاصرة.

وقد اتسم فكر التيارات الإسلامية بعد هذه الهزائم بالعداء شبه المطلق للغرب، ورفض كل قيمه وأفكاره الاجتماعية، وبخاصة تلك المتعلقة بالمرأة، من تحرر وخروج للتعلم والعمل، والانفتاح على قيم من ثقافات أخرى.

يقول حسين العودات إن تلك التيارات الدينية، وبخاصة الإخوان المسلمين، اعتمدت على آراء الإمام أبو حامد الغزالي وآراء ابن تيمية اللذين لهما فتاوى متشددة إزاء المرأة. ويورد مثالاً على ذلك التأثر بالغزالي وابن تيمية ما قاله الشيخ حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين عن أن "الأعوج في المرأة رأسها والمعتدل قلبها".[٢٨] وقد سار سيد قطب ومصطفى السباعي وعمر التلمساني على طريق البنا، وتبنوا مواقف متشددة إزاء المرأة.[٢٩]

وبهذا يمكن القول إن تشدد المنظرين الإسلاميين في منتصف القرن الماضي وحتى الآن تجاه أمور المرأة من حجاب وعمل ومشاركة في الحياة الاجتماعية، يحمل بشكل أو بآخر طابع معارضة المطالب الغربية بإجراء إصلاحات تحرر المرأة من قيود الماضي. بل إن هؤلاء المنظرين

حرصوا على توجيه النقد الدائم لـ "حال المرأة في الغرب"، وإبراز "ما تعانيه المرأة الغربية" من "إهانة" و"تسويق لجسدها" من خلال "استغلال" أنوثتها، إلى أن ارتبطت صورة المرأة في الغرب في ذهن كثير من المتدينين بـ "الدعارة" و"العري" و"الابتذال".

وقد شكل صعود التيار الإسلامي "المتشدد" في منتصف القرن الماضي انتكاساً للفكر "المتنور" الذي نادى به رواد النهضة الأوائل في أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين، أمثال محمد عبده، وعبد الرحمن الكواكبي، وجمال الأفغاني، الذين تأثروا بالغرب، ونادوا بـ "إصلاح حال المرأة وتعليمها وتنويرها ورفع الظلم عنها".[٣٠] ويرى "التنويريون" ذوو المرجعية الدينية من أمثال هؤلاء، أن "الإسلام الصحيح يخالف كل ما كان عليه حال المرأة أيام السلف"،[٣١] لأنه ساوى بين الرجل والمرأة تماماً. كما انطلق هؤلاء المتنورون من ضرورة العودة إلى الإسلام الصحيح وتسفيه آراء فقهاء عصرهم المتخلفة تجاه المرأة.[٣٢]

لكن هناك من يرى أن هذا "التنوير" بطرح المساواة المطلقة كان متعذراً، لأن القرآن والسنة لم يقررا مساواة كاملة بين الرجل والمرأة، ولأن منظومة القيم السائدة في عصرهم لم تكن لتفتح أمامهم إمكانية رؤية المساواة المطلقة.[٣٣] مع ذلك، فإن التغيير الذي حدث في البنية الاقتصادية والاجتماعية أيام رواد النهضة أدى إلى انتشار مدارس البنات، وتأسيس عشرات الجمعيات النسائية، وهو الأمر الذي انتقدته التيارات الإسلامية التي جاءت بعد ذلك زمن الهزائم السياسية المشار إليها، فتشددت في التعامل مع قضية المرأة، وتمسكت بـ "السلف"، وأعطت لنفسها حق التأويل وتفسير الآيات القرآنية بما يتماشى مع هذه الرؤية فقط.[٣٤]

وتفسر ليلى عبد الوهاب تلك "الانتكاسة" المتمثلة بتواري الأفكار "المستنيرة" مقابل صعود "الفكر السلفي الرجعي"، على الرغم من أن مصدر الأفكار في تلك الحالتين هو الفكر الإسلامي، بأن الفكر العربي خضع بعد "الرؤى المتنورة" لازدواجية وانفصام تتعايش فيهما التيارات

الفكرية المختلفة، في فترة تاريخية واحدة، وتكون في حالة من التناقض بين الفعل والقول من ناحية، والفكر والممارسة من ناحية أخرى.[٣٥]

ويورد زهير الدبعي في مقالة بعنوان "من ملامح القراءة الإصلاحية للدين الإسلامي"، أمثلة حديثة على هذا التناقض الذي لا يقتصر على الفكر، بل على معالجة كثير من الأمور اليومية، وبخاصة تلك المتعلقة بقضايا المرأة مثل تعدد الزوجات، وقيادة السيارة، والتعليم.[٣٦] وقد أدى هذا الاختلاف إلى تباين شاسع في أنماط التدين في العالم العربي. لكن النمط السائد في السعودية، وذلك الذي يدعو إليه السلفيون في مصر وباقي الأقطار العربية هو الأكثر تشدداً.

على الرغم من ذلك، توجد تيارات دينية "متنورة" تنادي بالالتزام بالقرآن وليس بالفقه الذي هو من صنع الناس. ومن رواد تلك التيارات محمد الغزالي، ومحمد شحرور، ومحمد شلتوت، وفهمي هويدي.[٣٧] لكن فوز التيار السلفي في مصر في الانتخابات البرلمانية العام ٢٠١١ وبداية العام ٢٠١٢ قد يشي بهزيمة أخرى للمتنورين على غرار تلك التي لحقت بمتنوري القرن الماضي.

في فلسطين، صعد التيار الديني، وبخاصة الإسلام السياسي، في بداية الثمانينيات في الجامعات والمخيمات، ثم جاءت الثورة الإيرانية لتُعمِّق دور الدين والحركات الدينية في التحرر.[٣٨] وازدادت شوكته في انتفاضة الأقصى التي شهدت بدايتُها إعلانَ الحركة الإسلامية تأسيسَ "حماس"، التي ذكرت في بيانها التأسيسي أنها امتداد لحركة الإخوان المسلمين.[٣٩]

مع ذلك، فإن اهتمام الإخوان المسلمين بفلسطين يعود إلى عشرينيات القرن الماضي، وترسخ بعد افتتاح فرع للإخوان في القدس ونابلس ومدن أخرى العام ١٩٤٦، وقد كان الحاج أمين الحسيني ممثلاً رسمياً لحسن البنا ومشرفاً على نشاطات الإخوان في فلسطين،[٤٠] التي تأصلت بعد نكسة العام ١٩٦٧ وفشل الأيديولوجيات المختلفة.[٤١] وقد كان للعمليات التي قامت بها "حماس" ضد أهداف إسرائيلية، والتي لاقت

شعبية واسعة دور في "أسلمة المجتمع الفلسطيني". وعلى الرغم من أن تأسيس "حماس" ارتبط في البداية بالعمل السياسي والنضال ضد الاحتلال، فإن كثيراً ما كان أفراد منها (حماس) يُمارسون "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، ويدعون الناس إلى الالتزام بأوامر الشريعة، وبخاصة تلك المتعلقة بارتداء النساء الحجاب.

وبعد فوز "حماس" في الانتخابات التشريعية العام ٢٠٠٦ بطرق علمانية، كانت هناك تخوفات من أن تفرض "حماس" الشريعة وتحكم بها، وبخاصة أنه كان هناك من يدفع باتجاه تبنيها شعار تطبيق الشريعة؛ سواء من خارج الحركة أو من داخلها. ولم يكن أنصار "حماس" "متجانسين في ردهم على إمكانية أن تذهب الحركة إلى مسألة تطبيق الشريعة"،[٤٢] لكن ذلك بلا شك زجّ بالدين إلى واجهة الأولويات، بل وأصبح مضماراً تُنافس التياراتُ السلفية في غزة "حماس" بعد سيطرتها على غزة بالقوة، وتُحاسبها على عدم التشدد في تطبيقه، باعتبار أن الأفضلية في الحكم هي للفئة الأكثر التزاماً بالنهج المتشدد. وقد تبنت جماعات سلفية جهادية عمليات مسلحة داخلية ضد صالونات تجميل نسائية ومقاهي إنترنت احتجاجاً على ما اعتبرته "عدم التزام "حماس" بتطبيق أحكام الشريعة"، وقد أدى الحصار المفروض على غزة وما تبعه من انتشار للفقر إلى صعود التيارات السلفية التي يتكون معظم أفرادها من أعضاء سابقين متشددين في حركتي "حماس" والجهاد.[٤٣]

وكمحصلة للعوامل السياسية التي قوّت الدين، ولاستمرار المد الديني في العالم العربي، بات الكثير من الفلسطينيين يعتقدون أن "العودة إلى الدين هو سبيل الانتصار على الاحتلال"، وأن الصراع مع إسرائيل ديني، وأن السر الكامن وراء نجاح الإسرائيليين هو تمسكهم بدينهم.[٤٤] بل إن كثيرين أصبحوا يعتقدون أن الاحتلال الإسرائيلي ليس إلا عقوبة إلهية على "ابتعاد الناس عن دينهم". وقد لاقت دعوة بعض التيارات الإسلامية بالعودة إلى "السلف"، وعصور الخلافة والفتوحات الإسلامية تربة خصبة في نفوس مَن ذاق ذُلّ الاحتلال وقهره. فأثار

ذلك عطشاً للرجوع إلى الفترة العربية الإسلامية الذهبية، و"الصعود للقمة ثانية بعد أن طال المكوث بالقاع".[٤٥]

ويشير إياد البرغوثي في كتابه **الأسلمة والسياسة في الأراضي الفلسطينية المحتلة**، إلى عشرات مظاهر أسلمة المجتمع الفلسطيني التي ازدادت منذ ثمانينيات القرن الماضي، مثل ازدياد عدد المدارس الدينية، ودور القرآن الكريم، والمساجد، ومحال بيع الكتب الدينية والجمعيات الخيرية. كما يشير إلى ظهور ذلك في سلوك الناس المتمثل بازدياد الإقبال على الدراسات الدينية وأعداد الذاهبين إلى الحج والعمرة والمقيمين للأعراس على الطريقة الدينية، وكذلك نسبة الملتحين والمحجبات.

وبعد عودة الكثير من المغتربين في السعودية، إبان حرب الخليج، إلى فلسطين، وازدياد أعداد الحجاج والمعتمرين عقب إنشاء وزارة للأوقاف ومكاتب للحج والعمرة إثر مجيء السلطة الوطنية، تعرّف الفلسطينيون على النموذج السلفي الوهابي للإسلام، وأصبح بنظر بعضهم "النمط الأفضل للتدين"، على اعتبار أنه النمط السائد في مهد الإسلام. فانتشر الحجاب على الطريقة السعودية (العباءة السوداء، والنقاب، وبشكل أقل غطاء الوجه). وقد أجاب ٢٦٪ من المواطنين في الضفة وغزة استطلع آراءَهم مركزُ رام الله لحقوق الإنسان في آب العام ٢٠١١، أن المملكة العربية السعودية "هي الدولة النموذج التي ينبغي على الدولة الفلسطينية المستقبلية أن تحذو حذوها".[٤٦]

الفصل الثاني

الفضائيات الدينية الإسلامية في العالم العربي

الفصل الثاني

الفضائيات الدينية الإسلامية في العالم العربي

بدأت الفضائيات الدينية بثها، كما أسلفنا، بعد سنوات من إطلاق قمر عرب سات، مستفيدة من "سقف الحرية" الذي وفرته ثورة الاتصالات. وقد جاءت هذه الثورة بدورها في ظل تراجع الوضع التعليمي في المنطقة العربية، الأمر الذي زاد من تأثير وسائل الإعلام المرئية والمسموعة،[٤٧] بل إن بعض خبراء التربية والتعليم في العالم العربي يقولون إن "زيادة نسبة الأمية الأبجدية والأمية الثقافية في العالم العربي في السنوات العشر الأخيرة كان من أسبابها الرسالة التلفزيونية الفضائية التي تشجع المتلقي على المشاهدة لا على القراءة، وعلى التبلد العقلي لا على النشاط الذهني، لأنها تقدم له ما يُسلّيه لا ما يُثقفه، وما يُخدّره لا ما يُطوره ويرقى به"،[٤٨] وبهذا يمكن القول إن الفضائيات الدينية تُمثل المصدر المركزي للمعلومات عن الدين وليس الكتب والدراسات، على الرغم من أنها غير مهيأة جداً للعب هذا الدور.[٤٩]

يربو عدد القنوات الدينية الإسلامية على المائة.[٥٠] لكن، ليس من السهل تصنيفها في مجموعات متجانسة، لأن كلاً منها له طبيعة تختلف عن الأخرى. لكن ما يجمعها هو أنها تُقدم "توعية دينية إسلامية".

ومن هذه القنوات ما هو سني، ومنها ما هو شيعي. يبلغ عدد القنوات الشيعية ٤٧ قناة تبث على النايل سات والعرب سات،[٥١] وهي ليست

موضع اهتمامنا هنا. أما القنوات السنية فيتخصص بعضها في بث آيات القرآن أو الأحاديث أو الأناشيد. لكن البعض الآخر يبث البرامج التي تسعى إلى التأثير على العقيدة والفكر والسلوك والخيارات ونهج الحياة، وهو النوع الذي يهمنا هنا. وتختلف هذه القنوات في توجهاتها العقائدية الدينية، وبالتالي الرسالة التي توصلها. فمنها ما هو سلفي، وتوصف تلك القنوات بأنها "دعوية"، تهتم بنشر الفكر السلفي الوهابي كـ "الحكمة" و"الرحمة" و"المجد" و"الناس"، عن طريق برامج هي أقرب إلى خطب المساجد منها إلى البرامج التلفزيونية. ومن تلك القنوات ما هو يتنوع توجهه من الدعوة إلى التثقيف العلمي والاجتماعي، وقد يوجد فيها الفكر السلفي والإخواني و"الليبرالي"، لكنه يندرج تحت مظلة دينية إسلامية، ومن هذه القنوات "اقرأ" و"الرسالة".

القنوات الدينية والأنظمة السياسية

يرى محمد الغيلاني أن ظهور القنوات الدينية الفضائية في العالم العربي كان "استجابة مفتعلة" من قبل السلطات السياسية للطلب الشعبي المتزايد على التدين، ولتستعملها في "التحكم في منسوب التدين وبناء مجتمع متدين على المقاس وإعادة صياغة التدين وفق منهج يصور الدين كقضية فردية تتسم بروح التسامح والانفتاح والتأقلم مع السياسات الرسمية".[٥٢]

تعرضت هذه القنوات الدينية، ومعظمها يبث من مصر، إلى النقد زمن نظام حسني مبارك، لكنها لم تتعرض طوال سنوات إلى الإغلاق إلا العام ٢٠١٠، إذ أُغلقت قناة الرحمة آنذاك ومجموعة من القنوات غير الدينية لبثها إعلانات تجارية عن مستحضرات طبية غير مرخصة من وزارة الصحة. وقد بقيت القنوات الدينية الإسلامية على مدى سنوات لم تكن تخالف أو تنتقد السلطات السياسية. ويرى البعض أن نظام حسني مبارك أعطى المجال لصعود السلفيين بهدف إضعاف تأثير التيار الإسلامي، وبخاصة الإخوان المسلمين،[٥٣] وأن إعطاءها المجال للعمل

والانتشار كان استجابة لموجة التدين التي اجتاحت المجتمعات العربية للأسباب سالفة الذكر. بل إن أكثر ما أخذ على تلك القنوات والدعاة أثناء الثورة المصرية، هو دعوة المتظاهرين إلى عدم الخروج على ولي الأمر. وكذلك الحال بالنسبة لموقف تلك الفضائيات من الحرب على غزة العام ٢٠٠٨، وغيرها من القضايا السياسية التي أثارت جدلاً.

فالفضائيات الدينية، كما يرى خالد الحروب، قبلت "بشكل مباشر أو غير مباشر بأن تكون في خدمة النظام السياسي القائم، والمصادقة على شرعيته مقابل الاستمرار في البث"، وقد نشأت عن هذه الفضائيات الدينية "سلطة دينية" موازية للسلطة السياسية "تضغط على المجتمع" وتسعى إلى "أسلمته وزيادة منسوب التدين فيه".[٥٤] أي أن هذه الفضائيات كانت رأس حربة بيد النظام المصري في وجه الإسلام السياسي، بينما كانت أداة لأسلمة المجتمع بيد التيار السلفي ومن ورائه الوهابي. إذ ينظر الدعاة إلى وسائل الإعلام على أنها "أدوات" يجب استخدامها للدعوة. وفي كتابه **القدوة على طريق الدعوة**؛ وهي سلسلة من "فقه الدعوة"، يدعو المرشد العام السابق للإخوان المسلمين مصطفى مشهور الدعاة إلى أن "يكون لهم دور في هذا المجال (الإعلام) وأن يُسخّروا كل حديث لصالح الدعوة ونشر مبادئ الإسلام الحنيف".[٥٥]

ويقول مشهور إن على المؤسسة الصحافية "تقديم الإسلام عقيدة وعبادة وشريعة وأخلاقاً، وإثبات جدارته وأحقيته في أن يهيمن على حياة الناس، وأن شريعة الله أحق بالتطبيق ولا مجال لمقارنتها بتلك النظم والمبادئ الأرضية".[٥٦]

لكن الوعي بأهمية استخدام التلفاز للدعوة من قبل السلفيين والوهابيين هو أمر حديث العهد، إذ لم يؤمن الكثير منهم بجواز وجود تلفاز في البيت حتى لو كان بوجود رقابة دينية على مضمون ما يُبث. يقول عبد العزيز بن باز مفتي السعودية السابق:[٥٧] "التلفاز آلة خطيرة، وأضرارها عظيمة كالسينما أو أشد، وقد علمنا من الرسائل المؤلفة في شأنه ومن كلام العارفين به في البلاد العربية وغيرها، ما يدل

على خطورته وكثرة أضراره بالعقيدة والأخلاق وأحوال المجتمع، ذلك لما ثبت فيه من تمثيل الأخلاق السافلة، والمرائي الفاتنة، والصور الخليعة وشبه العارية، والخطب الهدّامة، والمقالات الكفرية، والترغيب في مشابهة الكفار في أخلاقهم وأزيائهم، وتعظيم كبرائهم وزعمائهم، والزهد في أخلاق المسلمين وأزيائهم، والاحتقار لعلماء المسلمين وأبطال الإسلام وتمثيلهم بالصور المنفّرة والمقتضية لاحتقارهم، والإعراض عن سيرتهم وبيان طرق المكر والاحتيال والسلب والنهب والسرقة وحياكة المؤامرات والعدوان على الناس".

ويبني ابن باز رأيه عن التلفزيون كما نلاحظ على "الرسائل المؤلفة" و"كلام العارفين"، وليس على ما شاهده هو ودرسه. ويحكم ابن باز بمنع مشاهدة التلفاز حتى لو أُخضع للرقابة. يقول بهذا الشأن: "لا شك أن ما كان بهذه المثابة وترتبت عليه هذه المفاسد يجب منعه والحذر منه وسد الأبواب المفضية إليه، فإذا أنكره الإخوان المتطوعون وحذروا منه فلا لوم عليهم في ذلك، لأن ذلك من النصح لله ولعباده.

ومن ظن أن هذه الآلة تسلم من هذه الشرور ولا يبث فيها إلا الصالح العام إذا روقبت، فقد أبعد النجعة وغلط غلطاً كبيراً، لأن الرقيب يغفل، ولأن الغالب على الناس اليوم هو التقليد للخارج والتأسي بما يفعل فيه، ولأنه قل أن توجد رقابة تؤدي ما أسند إليها، ولاسيما في هذا العصر الذي مال فيه أكثر الناس إلى اللهو والباطل وإلى ما يصد عن الهدى".[٥٨]

كما يقول الداعية أبو بكر الجزائري الأستاذ في المسجد النبوي: "لا يوجد في بيتي إذاعة أو تلفزيون ولا أقرأ الصحف".[٥٩]

وقد كانت هذه النظرة السلبية للتلفزيون أحد الدوافع الأساسية لإنشاء قنوات "وفق المعايير الدينية الإسلامية". لكن استخدام التلفزيون كأداة للدعوة بدأ قبل انتشار الفضائيات الدينية. فقد كان الشيخ متولي الشعراوي كثير الظهور على الشاشة المصرية، واستطاع أن يصل إلى شريحة واسعة بفضل بساطة أسلوبه ولغته.[٦٠]

مصادر التمويل

أثارت القنوات الفضائية الدينية منذ انتشارها أسئلة عن مصادر تمويلها وأرباحها. وعلى الرغم من أن أياً من تلك القنوات لا تُفصح عن مصادر تمويلها، فإن ممولي معظمها هم من رجال الأعمال المعروفين مثل الأمير الوليد بن طلال الذي يمول قناة الرسالة، ويمتلك في الوقت ذاته باقتي روتانا للأغاني والموسيقى، ورجل الأعمال السعودي الشيخ صالح كامل الذي يشغل أيضاً رئيس غرفة التجارة الإسلامية ومؤسس قناة اقرأ ورئيس مجلس إدارتها، ورجل الأعمال السعودي منصور بن كدسة الذي يملك قناة الناس.

كما لا بد من الإشارة هنا إلى أن القنوات الدينية لا تفصح عن حجم عائدات أرباحها أيضاً، وتذكر معظمها على مواقعها الإلكترونية أنها تعتمد على الإعلانات التجارية وخدمات الفتاوى من خلال الرسائل القصيرة مدفوعة الأجر. وقد تسببت مصادر الدخل هذه (الإعلانات والفتاوى) بإغلاق عدد من هذه القنوات في ١٩/١٠/٢٠١٠ لأنها تُروج لمستحضرات طبية وعلاجية غير مرخصة من الجهات الطبية والصحية، ولأنها تبث ما يحرض على الفتنة الطائفية والكراهية.[٦١]

جدل حول القنوات الدينية

أثارت الفضائيات الدينية في السنوات العشر الأخيرة الكثير من الجدل، وبخاصة تلك المرتبطة بالاتجاه السلفي كقنوات "الناس" و"الحكمة" و"الرحمة" و"الحافظ". إذ اتُهمت هذه الفضائيات ببث مضمون ديني يحرض على الطائفية والعنف. يقول صفوت العالم إن الفضائيات الدينية ثبت أنها تبثُّ خطاباً متطرفاً يتنافى مع قضايا المواطنة.[٦٢]

وجاء في مجلة **الحقائق** التونسية أن تلك القنوات تسلط الضوء على أسس مذهبية أيديولوجية كالأفكار الوهابية التي تتمسك بالفهم

الحرفي والنصي للإسلام، فتنتج تصورات وفتاوى بعيدة عن تحديات اللحظة.[٦٣] وتُتّهم الفضائيات الدينية بالاهتمام بالآخرة أكثر من الدنيا والحاضر، واستخدام أسلوب التخويف من خلال المبالغة بالحديث عن العذاب، الأمر الذي يقلص من القدرة على التفاعل الإيجابي مع الواقع، ويُضعف الرغبة في العمل، لأنها تركز على أن "يكون الخلاص الفردي عن طريق الاهتمام بالعبادات".[٦٤]

ويرى مبروك عطية أن الفضائيات الدينية فيها من الفتاوى غير الصحيحة والمتشددة.[٦٥]

كما يقول عبد المعطي بيومي إن بعض الفضائيات "أسهمت في نشر التشدد والتزمت الديني، وإنها تعتمد في كثير من أحاديثها وموادها على الأحاديث الضعيفة والتفسيرات المتشددة.[٦٦]

ويرى محسن المزليني أن الفضائيات الدينية، بتركيزها على "التاريخ الإسلامي المشرق"، صنعت جمهوراً متلقياً معجباً وراضياً ومطمئناً من خلال الانتماء إلى لحظة تاريخية مليئة بالأمجاد والبطولات والتفوق في حياة الرسول والسلف الصالح، وإنها طورت "نوستالجيا" دينية تعويضية من الناحية السيكولوجية على المستوى الفردي والجماعي يخلق متعة واسترخاء. لهذا، تحول التدين إلى شكل من أشكال الترويح عن النفس، وكأن البرامج الدينية "حصة علاج نفسي واسترضاء وجداني للتعويض عن انكسارات الحاضر، لكنه بذلك يزيد الإحساس بالعجز أمام مشكلات الحاضر".[٦٧]

ولعل الجدل الأكبر الذي تثيره هذه القنوات هي النظرة إلى المرأة ودورها في المجتمع، وهو الذي يهمّنا في هذه الدراسة. تقول سعاد صالح إن المرأة في نظر دعاة الفضائيات الدينية السلفية، على وجه الخصوص، "عورة وشيطان وفتنة ومثيرة للجنس، وأنها يجب أن تُغلف بأغلفة سوداء حتى نضمن عدم الافتتان بها".

فيما ترى مجلة الحقائق أن الفضائيات الدينية تتناول المرأة بشكل يهدف إلى "تأثيمها" وتقييد حريتها بممنوعات ومحظورات يُضخّمها النص سعياً إلى الحفاظ على تقسيم الأدوار بينها وبين الرجل.

ويُحذّر صفوت العالم أستاذ الإعلام بجامعة القاهرة من أن هذه القنوات تقدم قادة رأي ديني ليس لديهم ثقافة دينية عميقة، وأن "بعضهم يعتمدون في خطابهم الديني على كتب تراثية لا تصلح للعصر الحالي، وبعضهم يخدم أحياناً توجيهات مذهبية أو طائفية بشكل أو بآخر".[٦٨]

يقول محسن المزليني إن المكانة الاجتماعية للدعاة التلفزيونيين تتعاظم، وإنهم جمعوا ثروات من "المقاولات الدينية". ويرى أن هؤلاء الدعاة تحولوا إلى "نجوم يمتلكون الحقيقة دون سواهم".

أما محمد الغيلاني فيرى أن الدعاة يستخدمون القرآن والسيرة النبوية والموعظة استخداماً براغماتياً ويشتغلون على "اللاوعي الديني" و"الموروث العقائدي المقدس" للمتلقي.

ويجيب أحمد صالح عن سؤال ماذا يريدون من وسائل الإعلام؟ بأن الدراسات تقول إن الدعاة يريدون الانتشار والشهرة والإعلام والإعلان عنهم كدعاة وموجهين للبشر. ويريدون أيضاً تأكيد شرعيتهم مثل بقية الأجنحة السياسية الأخرى في المجتمع، ويريدون أيضاً من وسائل الإعلام "تسهيل وتفعيل عملياتهم في الهداية والتبشير والأنشطة الاجتماعية والسياسية المتنوعة"، ويرى صالح أن المؤسسة الدينية تسعى إلى أن تستخدم وسائل الإعلام وتريد منها "أن تبث رسائل إيجابية عنها وأن تكون عاملاً مؤثراً عليها".[٦٩]

يتشابه نهج الوعاظ الفلسطينيين في نظرتهم للمرأة مع أولئك الوعاظ من نجوم الفضائيات الدينية. ويذكر سميح محسن أن مواقف الوعاظ الفلسطينيين من المرأة محكومة بالدرجة الأولى بمفاهيم ثقافية مجتمعية موروثة، ويشير إلى أن أحد المتدربين في النشاطات التي نفذها مركز

رام الله لدراسات حقوق الإنسان واجه مدرب المركز بالسؤال: هل تريد أن تقوّم نساءنا علينا؟ (أن تدفعهن للتمرد علينا؟). كما اعترضت إحدى الواعظات على تقلد المرأة المناصب العامة كونهن "ناقصات عقل ودين".[٧٠]

الفصل الثالث

المرأة في خطاب الفضائيات الدينية

الفصل الثالث

المرأة في خطاب الفضائيات الدينية

ظهر في بدايات "عصر التنوير" في القرن التاسع عشر تياران دينيان يمثلهما نوعان من الدعاة؛ أحدهما يدعو إلى نصرة المرأة وتحريرها من القيود التي تكبلها، وآخر رافض لإعطائها أي دور اجتماعي وتربوي وسياسي خارج دورها كربة بيت.[٧١]

وقد انتصر التيار الثاني على الأول، ثم انعكست رؤيته بشكل أكبر على المرأة والنظرة إلى مكانتها ودورها في المجتمع، وهي رؤية انحازت إلى الرجل على حساب المرأة.

وقد أصبحت التيارات الإسلامية "المتشددة"، وبخاصة الوهابية والسلفية والإخوان المسلمين، هي السائدة في العالم العربي.

انطلقت معظم الآراء والفتاوى المتعلقة بالمرأة من الفرق البيولوجي بينها وبين الرجل، وعلى هذا الفرق قسّم الدعاة في دروسهم أدوار الحياة بينهما، باعتبار أن الله سبحانه وتعالى هو مَن أراد لهما هذه الأدوار: المرأة للبيت ورعاية الزوج والأطفال فقط ولا شيء غير ذلك، والرجل للعلم والعمل. يرى حسن البنا، مثلاً، أن المرأة للمنزل أولاً وأخيراً، لذلك هي "ليست بحاجة إلى التبحر في اللغات المختلفة، أو الدراسات الفنية".[٧٢] أما سيد قطب، فيناقش في كتابه **العدالة الاجتماعية** تفوّق الرجل على المرأة. وهو تفوق ينعكس على أدوارهما في الحياة وكفاءتهما في العمل.

وقد وقف الإخوان المسلمون موقفاً متشدداً إزاء انتخاب المرأة وترشحها للانتخابات مثلاً، واعتبروا ذلك "مخالفة صارخة لكتاب الله وسنة نبيه"، وأصدروا عن هذا الأمر وثيقة في ١٩٥٢/٦/١٢. لكنهم بعد اثنين وأربعين عاماً (في آذار ١٩٩٤) أصدروا وثيقة بعنوان "المرأة المسلمة في المجتمع المسلم – الشورى وتعدد الأحزاب"، تراجعت الحركة فيها عن البيان السابق.[٧٣]

وكذلك فعل التيار السلفي الذي فاز في الجولات الأولى لانتخابات مجلس الشعب في أثناء إعداد هذه الدراسة (أواخر ٢٠١١). إذ دأب ذلك التيار على تحريم مشاركة المرأة في العمل السياسي، ثم تراجع عن ذلك ورشّح عدداً من النساء كي يُسمح له بخوض الانتخابات.

وفي السعودية لا يزال حتى اللحظة معمولاً بفتاوى تُحرّم على المرأة قيادة السيارة وممارسة الرياضة في المدارس وشغل الكثير من الوظائف. ولا يزال من حق ولي أمرها الذكر أن يُجبرها على الزواج في أي عُمر، والطلاق قسراً. ولا يمكن للمرأة السعودية أن تلتحق بمؤسسة تعليمية، ولا أن تستخرج جواز سفر دون موافقة وصيها. وكذلك الأمر بالنسبة لأطفالها، لا يجوز لها أن تصطحبهم إلى أي مكان دون إذن زوجها، ولا أن تدخل مستشفى حكومياً أو تخرج منه دون إذن زوجها، ولا أن تصل أو تدخل أي دائرة حكومية ليس فيها قسم نساء، ولا أن تقدم شكوى للشرطة وحدها، ولا أن ترفع دعوى أمام المحاكم أو حتى أن تمثُل أمام القضاء.[٧٤]

ويفسر يحيى جابر في كتابه **ناقصات عقل ودين** هذا التشدد بأنه استمرار للانقلاب – الردة التي حدثت على الإنجازات التي تحققت لصالح المرأة بعد الإسلام. وهي ردة ساعد في استفحالها "طبقة من الفقهاء والمفتين العاملين في خدمة السلاطين"، أدت إلى إبقاء المرأة أسيرة اجتهاد هؤلاء الفقهاء والمفتين وقابعة في بيتها "لا تعرف عن العالم من حولها أكثر مما تتناقله النساء اللواتي يسمح لهن أزواجهن بزيارات بعضهن بعضاً".[٧٥]

إن ما ذُكر ليس إلا شكلاً من أشكال إسهام رجال الدين في أسطورة "تأبيد الهيمنة الذكورية"، التي تخلقها، حسب بيير بورديو "مؤسسات متواصلة فيما بينها (العائلة والكنيسة والدولة والمدرسة [...] والرياضة والصحافة"، وهي مؤسسات تتحلى بأسلحة من "العنف الجسدي، أو العنف الرمزي" تتمكن من خلالها من ممارسة الهيمنة وجعلها كأنها طبيعية.[٧٦]

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن انغلاق منظري التيارات الوهابية والسلفية في السعودية ومصر لم يقتصر على المسائل المتعلقة بالمرأة، فمنهم مَن ناقش في مُسلّمات علميّة مُثبتة، مثل عبد العزيز بن باز، مفتي السعودية سابقاً، الذي أنكر أن الأرض تدور، وكفّر مَن يقول غير ذلك واعتبره "كافراً وضالاً ومضلاً، يُستتاب، فإن تاب تاب، وإلا قُتل كافراً مرتداً"،[٧٧] كما يُنكر أبو اسحق الحويني أحد نجوم الفضائيات السلفية أن يكون العقل مكانه الرأس كما يُعتقد، ويقرر أن مكانه القلب، باعتماده على الآية: "فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها".[٧٨]

لا يمكن فهم أثر الفضائيات الدينية على النساء في فلسطين دون دراسة محتوى الفضائيات الذي تتعرض له هؤلاء النساء. ولأن عدد الفضائيات الذي يمكن مشاهدته يزيد على مائة، فإنه من الصعب رصد كل هذا العدد. لذلك، تقرر رصد محتوى الفضائيات التي تشاهدها النساء اللواتي تمت مقابلتهن. وقد لوحظ أن النساء يتابعن الفضائيات حسب الدعاة المفضلين لديهن ويبحثن عنهم حتى لو انتقلوا إلى فضائيات أخرى. وبناء على ذلك، رُصدت موادٌ بُثت لأكثر الدعاة ذِكراً من قبل النساء، وهم على الترتيب محمد حسان، ومحمود المصري، وأبو اسحق الحويني، وعمرو خالد، وطارق سويدان، ومحمد حسين يعقوب.

وبالنظر إلى عناوين ومواضيع البرامج التي تُبث على الفضائيات الدينية، يُلاحظ أن قضايا المرأة تحتل المساحة الأكبر من برامج الفضائيات الدينية. فإضافة إلى البرامج الكثيرة المتخصصة أصلاً بقضايا المرأة المسلمة، تطغى على برامج الفتاوى وتلك التي تعتمد على

اتصالات الجمهور قضايا الزواج والطلاق والأولاد والحجاب والعبادات والحيض والنفاس، وهي كلها أمور تهم النساء.

وقد اتضح عند رصد عينة من القنوات الدينية السلفية أن القنوات التي تستضيف دعاة "متشددين" أكثر عدداً من تلك التي تستضيف دعاة "معتدلين" إزاء قضايا المرأة.

لذلك، فإن حجم المضمون "غير المتشدد" في القنوات الدينية أقل بكثير من المضمون "المتشدد". وبهذا، فإن فرص تعرض النساء اللواتي يشاهدن القنوات الدينية لمضمون "متشدد" أعلى من فرص تعرضهن للمضمون "غير المتشدد". ولهذا السبب اختير القسم الأكبر من الحلقات والمقاطع التي تم تحليلها لدعاة عُرفوا بـ "تشددهم" أمثال أبو اسحق الحويني، ومحمد حسان، ومحمود المصري، مع عدم إهمال الدعاة الذين يمثلون الجانب "المعتدل المتجدد"، ومن أهم الأمثلة عليه عمرو خالد، وطارق سويدان.

وبتحليل مضمون حلقات عدة بُثت على الفضائيات الدينية التي أشير إليها من قبل النساء اللواتي يتابعن هذه الفضائيات في فلسطين، وبتتبع الدعاة الذين تمت الإشارة إليهم من غالبية النساء اللواتي تمت مقابلتهن لغرض هذه الدراسة، تبين أن غالبية هذه الحلقات، وبخاصة تلك التي تُبث على القنوات السلفية كـ "الرسالة" و"الناس" و"الرحمة" و"الحكمة" و"الخليجية"، تُعمق "الهيمنة الذكورية" من خلال "قوة رمزية" تُمارسها الفضائيات دون إكراه كـ "السحر" على أجساد النساء اللواتي لهن "استعدادات" أصلاً ليُهيمن عليهن ويُعاملن كأشياء.[٧٩] وتُرسخ تلك الفضائيات معاني قصور ودونية المرأة، وتعزز صورة المرأة التابعة للرجل، والعورة، وغير المنتجة، ومنبع الفتنة، والآثمة التي تحتاج دائماً إلى تقويم وتأديب كما سنرى.

وبقياس محتوى الحلقات الذي تم تحليله على ما سمّاه بورديو بـ "بنية سوق المتاع الرمزي" الذي يقضي قانونه الجوهري أن تُعامل النساء كأشياء تتداول من أسفل إلى أعلى، فإن أهم ما يُلاحظ هو ما يلي:

أ. المبالغة في تناول الحجاب

تسلط الفضائيات الدينية الضوء على الحجاب على أنه أهم ما يجب أن تلتزم به المرأة، وأنه أول ما يجب أن تُقيَّم المرأةُ من خلاله، في صلاحها وفسادها، استقامتها وضلالها، ثوابها وعقابها، ومصيرها في الآخرة. ويختلف معنى الحجاب من فضائية إلى أخرى باختلاف الدعاة الذين يظهرون عليها ودرجة تزمتهم وتشددهم. فعند بعض الدعاة الذين يظهرون على الفضائيات السلفية الوهابية كـ "المجد" مثلاً، يعني الحجاب تغطية كامل الجسم بما فيه الوجه واليدان عند الخروج من البيت. فيما يعني عند آخرين النقاب (مضمون المعنى السابق ذاته مع جواز إظهار العينين). ويوجد الكثير من هؤلاء الدعاة، وبخاصة السعوديين، مَن يُخصص المزيد من الوقت للحديث عن "شكل الحجاب الصحيح" المتمثل في نظرهم بالعباءة السوداء التي تُلزَم المرأة في السعودية بارتدائها، ولا يُقبل أن تخرج في الأماكن العامة بدونها حتى لو كان لباسها ساتراً.

ويتشدد الدعاة السلفيون والوهابيون الذين تشاهدهن النساء الفلسطينيات بالدرجة الأولى كمحمد حسان، ومحمود المصري، وأبو إسحق الحويني، في موضوع النقاب أو غطاء الوجه لأنهم يعتبرون أن النساء "فتنة" للرجال يجب اجتنابها. فالمرأة "فتنة" بمجرد أنها خُلقت امرأة وليس لفعل أو سلوك تقوم به. ويجب أن تتحمل نتائج هذه الخلقة وتبعاتها. فحتى لو كانت لا تنوي الإيقاع بالرجال أو جذبهم، يقع على عاتقها عبء تجنيبهم "الفتنة" وليس على الرجال. وقد كرس هؤلاء الدعاة في خطابهم مسألة تأثيم المرأة غير المحجبة وتحميلها مسؤولية "ضياع أخلاق الرجال"، في حين يُبدون تفهُّماً إزاء عدم تهذيب الرجال لشهواتهم وغرائزهم، ووقوعهم بتلك "الفتنة".

ومقابل تركيز معظم دعاة الفضائيات الدينية على قضية النقاب والحجاب وفضله وفوائده وضرورته، فإنهم يصوّرون المرأة عند الغرب بأنها رخيصة وسهلة المنال ومُحتقرة ومُزدراة، وأنها سلعة يشتريها مَن

يدفع المال لأنها لا ترتدي الحجاب. ولا يقدم هؤلاء تفاصيل عن كيفية هذا الرُّخص والاحتقار والازدراء. يقول مازن السرساوي في برنامج "نظرة شرعية" على قناة الحكمة:[٨٠] "المرأة (في الغرب) سلعة مُهانة ليس لها أي قيمة مثلها مثل أي ألعوبة تُستأجر بالليل والنهار ويتلعب بها من يشاء ما دام قد دفع الثمن وهذا منتهى الإهانة".

ويكررون دائماً أن المرأة "مُكرّمة" في بلاد المسلمين، لأنها تبقى في البيت، ويُطلب من وليّها الإنفاق عليها. والمرأة على هذا النحو ليست مُقيدة، برأيهم، أو قاصراً أو عالة، بل إن هي، كما يقولون، "ملكة متوجة لأنها لم تلامس الشر الذي في الخارج".

ويُفسر هؤلاء قيام النساء المسلمات بتقليد النساء الغربيات في اللباس والعمل على أنه استجابة "لأطماع استعمارية"، أو "انخداع بأفكار مستوردة" سعى الغرب إلى ترويجها في بلاد المسلمين تحت مسميات حقوق الإنسان من باب التآمر عليهم وإضعافهم.

وينطبق على موقف الدعاة "العدائي" إزاء أي تشبُّه بالمرأة الغربية في اللباس، ذلك التفسير الذي ذُكر سابقاً عن الدور الذي يلعبه الدين في "الشعوب التي لا تزال تعاني من الاستعمار"، والذي تقول إليزابيث نوتنغهام إنه "مصدر من مصادر التفسيرات الأخلاقية لاستمرارها كشعوب ممتازة أو مصدر من مصادر التحدي الذاتي ضد الغزو الخارجي". وترى أن الرد المتوقع من الجماعات الدينية هو مقاومة أي تفسير جديد للقيم التقليدية البحتة.

لذلك، لا يقبل هؤلاء أن يُفسّر ترك الحجاب أو تغيير شكله أو تخفيفه على أنه اجتهاد آخر لحكم الحجاب أو استجابة طبيعية للحياة العصرية التي أصبحت تتطلب الكثير من الحركة والتنقل والبقاء ساعات خارج المنزل، فكل هذه أمور من المحرمات لأنها تندرج في إطار "تآمر الغرب على بلاد المسلمين". بل إن التفسير الوحيد لذلك هو أن هؤلاء النساء "وقعن في شباك تلك المؤامرة" واستجبن لها. يقول أبو اسحق الحويني على

قناة الخليجية: "المرأة المسلمة أصغت إلى أعدائها الذين أوهموها أنها صارت كالبهيمة تحمل وتلد وترضع قالوا لها لأ أنتِ نصف المجتمع نريدكِ في كل مكان، نريدكِ قاضية، وعمدة، ونريدكِ في كل المجالات، فخرجت المرأة وتركت الثغر خالياً وزاحمت الرجال في ما لا تحسنه كثيراً مع الرجال. وهذا الثغر الذي تركته المرأة خالياً لا يستطيع رجال الأرض أن يملؤوه".

أما مازن السرساوي، فيرى أن حقوق المرأة عند الغرب تعني "صرف المرأة عن دينها". وينتقد الدعوات التي تُسمع في مصر لإعطاء دور أكبر للمرأة ويتهم الذين يستجيبون لهذه الدعوات بأنهم "يصطادون في الماء العكر". كما يتهم الولايات المتحدة بأنها، بسياسات التدخل في شؤون البلاد العربية، "تدمر" المرأة المسلمة: "أمريكا تعرف كويس جداً (جيداً) وغيرها من بلاد الكفر يعرفون جيداً ماذا يعني انتماء المسلم لدينه، وتعلم أيضاً جيداً أن أحد أكبر الأسباب التي كانت تؤدي إلى هذا الانتماء هي المرأة، ولهذا يعمل أعداء الإسلام بالليل والنهار لهدم حصن المرأة وإخراجها من بيتها وإلقائها في الشارع تروح وتأتي مثلها مثل الرجال، وليس هذا سبيلها، فتسقط حصوننا من الداخل ما يبقاش (لا يعد) عندنا مصانع للرجال، ولا نطلّع بعد كده حاجة خالص (ولا ننتج بعد ذلك شيئاً قط)".

وبناء على ذلك، فإن التمسك بالحجاب، في رأي هؤلاء الدعاة هو نوع من مقاومة الأجندات الاستعمارية الغربية، وتعبير عن الهوية الإسلامية "المهددة"، ورفض "لسياسة الغرب" الرامية لإفساد المرأة المسلمة، تمهيداً لإفساد باقي الأمة. وبذلك تبدو المرأة كأنها الحلقة الأضعف والأسهل للانسياق وراء الأجندات الاستعمارية.

ويحرص هؤلاء الدعاة على تصوير المشاكل التي تعاني منها المجتمعات الغربية أنها نتيجة "لتبرج النساء" وخروجهن دون حجاب ومشاركتهن الرجل في أشكال الحياة كافة. ويحرصون أيضاً على ألا يذكروا أن المجتمعات الإسلامية تعاني من المشاكل ذاتها وربما بالقدر ذاته.

وينطلق هؤلاء الدعاة في موقفهم إزاء اللباس من اعتبار المرأة "كائناً سلبياً" وجسدها "مقدساً وحراماً" يجب أن "تُفرض عليه حدود سلبية"، الأمر الذي يؤدي، حسب بيير بورديو، إلى "إعادة إنتاج الهيمنة والرؤية الذكوريتين" من خلال "إدانة كل إخلال نسوي بالأدب، وبخاصة المتعلق باللباس".[٨١]

ويلعب الدعاة بذلك الدور ذاته الذي يلعبه القس و"الكنيسة المسكونة بالعداء العميق للنسوية" في "إعادة إنتاج الهيمنة والرؤية الذكوريتين".[٨٢]

ويخصص هؤلاء الدعاة مساحة واسعة من أوقات برامجهم لموضوع الحجاب، حتى لا تكاد حلقة من الحلقات تخلو من التطرق إليه، وبخاصة تلك البرامج التي يُفتح الباب فيها لاتصالات الجمهور فتستوقفهم أسئلة الحجاب ويطيلون شرح ردودهم عليها، وقد حرّم هؤلاء الدعاة لبس الألوان الزاهية، والبنطلون، والكحل خارج المنزل، وإظهار الجبين وجزء من الأنف لمن ترتدي النقاب.

ويشير ترتيب موضوع الحجاب على رأس سلم أولويات خطاب الفضائيات الدينية واحتلاله مكان الصدارة إلى "معايير داخلية" تهدف من خلاله إلى فرض الرؤية السلفية في التدين، التي تضع "حجاب المرأة" في مقدمة أشكال التدين. ويؤدي وضع موضوع معين على سلم أولويات خطاب مرئي، حسب فوكو، إلى هيمنة رؤية ذلك الخطاب على عقول المشاهدين الذين لن تنكشف لهم حقيقته إلا إذا تابع وسيلة إعلامية أخرى في الوقت ذاته.[٨٣] وهو الأمر الذي لا يتحقق، لمشاهدات تلك القنوات، لأنهن، كما تبين من المقابلات، لا يُشاهدن قنوات أخرى غير القنوات الدينية، وإن فعلن ذلك فإنهن يبحثن عن القنوات الإخبارية السياسية التي يُفضلن الإسلامية منها كـ "الأقصى"، و"القدس"، و"القدس اليوم".

ويستخدم هؤلاء الدعاة لهجة الترهيب ونبرة الصوت المرتفعة جداً عند الحديث عنه. ويأتون بالأدلة على وقوع العذاب الشديد على من لا ترتدي الحجاب بالشكل الذي يرونه هم.

ويحدد الالتزام بالحجاب، حسب هؤلاء، الانتماء إلى الإسلام من عدمه. فمَن لا تقتنع بلبس الحجاب يعني، بنظرهم، أنها غير مقتنعة بالإسلام أصلاً.

فقد انتقد محمد حسان كل فتاة غير مقتنعة بارتداء الحجاب، ويرى أن الأَوْلَى لها أن تقتنع بالإسلام أولاً، الأمر الذي يعني أن عدم لبس الحجاب ينفي الإسلام. يقول على قناة الرحمة: "ما ينفعش تقولي لي أقنعني بالحجاب ما ينفعش ... لا يجوز لكن خلينا نطرح سؤالاً قبل السؤال ده ... قبل السؤال ده لازم نطرح السؤال التالي: أقنعني بالإسلام".

وبهذا، فإن حسان يُعظّم مسألة الحجاب لتصبح مقياساً للإسلام نفسه. فالكلام الوارد أعلاه على لسانه، والطريقة التي قدّمها به يُفهم منهما أن إسلام أي امرأة ليس صحيحاً إذا لم ترتدِ الحجاب أو تقتنع به. وبذلك فهو يدعو تلك المرأة غير المقتنعة بالحجاب أن تقتنع أولاً بالإسلام، ومن ثم يمكن إقناعها بالحجاب. وبهذا، لا يمكن أن تكون النساء اللواتي يقمن الصلاة ويصمن ويؤدين بقية أركان الإسلام، لا يمكن، حسب هذا التفسير، أن يكنّ مسلمات إذا لم يكنّ محجبات.

يستلزم الحجاب، وفق مفهوم هؤلاء الدعاة، الاحتجاب أيضاً عن المجتمع وعدم الخروج "إلا للضرورة القصوى"، وعدم الحديث مع الرجال. ويقدم حازم شومان المرأة التي تخرج من البيت للعمل وتركب المواصلات وتشارك في المؤتمرات على أنها مُخالفة لصورة المرأة المسلمة المثالية، ويُقلل من أهمية الخروج للعمل على وجه الخصوص بأن يذكره في سياق الحديث عن "الفتيات اللواتي يبحثن عن عريس". وهو بالمقابل، يحبب الفتيات بالنقاب والبقاء بالبيت بإشارته إلى أن نسبة اللائي يتزوجن من المنقبات أكثر من غيرهن. ولم يذكر ما إذا كانت تلك النسبة ناتجة عن انطباع شخصي أم عن إحصائية يعلمها هو. فيقول على قناة الرحمة: "التبرج يزيد ونسبة الزواج عند المنقبات بتزيد .. محدش (لا أحد) فكّر يا جماعة ليه (لماذا) نسبة الزواج عند المنقبات عالية بالنسبة لغيرهم عارفين ليه (لماذا)؟ لأن الفكر الدنيوي كله أنه

البنت مش حتتجوز (لن تتزوج) غير بحاجة من ثلاثة يا إما يبقى لها علاقات واسعة جداً واختلاط في الجامعة وفي المصايف وفي النوادي يمكن الواحد إيه؟ يُعجب بشخصيتها كده فيبقى إيه؟ الشخصية بتاعتها (شخصيتها) تؤثر فيه فيبدأ يتجوزها (يتزوجها) أو أنه البنت تبقى تتبرج وتحط أحمر وأصفر وأخضر وأسود وبرتقاني وموف وتلبس خمسين لون وتمشي فواحد يعجب كده بشكلها بسبب تبرجها ... يا إما الشغل أنه البنت تخرج تشتغل تبقى خراجة ولاجة وتروح هنا وهنا وتركب مواصلات وتسافر ويبقى لها علاقات ... الناس بتشوفها أكثر فيمكن تتجوز ... طيب والمنقبة بقى؟ ... ما فيش حد بيشوفها (يراها) .. طب والاختلاط؟ لا ما فيش اختلاط خالص حرام ... طب والشغل لا تشتغل إلا للضرورة طب دي حتتجوز ازاي بقى (كيف ستتزوج إذاً)؟ أكتر ناس بيتجوزوا (يتزوجون) وأعلى نسبة زواج وأعلى نسبة سعادة زوجية وأعلى نسبة سعادة أسرية". ولم يذكر شومان كيف ولماذا "نسب الزواج مرتفعة بين المنقبات"! وبذلك فإن المرأة المثالية، بنظره، هي تلك التي لا تعمل ولا تشارك في الحياة العامة ولا تركب المواصلات ولا تشارك في المؤتمرات، بل هي المرأة المنقبة المُحتجبة عن المجتمع التي لا تخرج من البيت إلا للضرورة القصوى، وليس لها علاقات، وهي التي سيكافئها الله بزوج ولن تعاني بذلك من العنوسة.

وتطبق القنوات الدينية السلفية مثل قنوات "الرحمة" و"الحكمة" و"الناس" و"المجد" فكرة احتجاب المرأة عن المجتمع بالمطلق، فتخلو جميع برامجها من النساء ليس من المذيعات فحسب، بل هي أيضاً لا تستضيف النساء للحديث عن أي أمر كان، حتى لو كان تقريراً يجمع آراء الناس في الشارع.

وتطلب قناة "المجد" من مكاتبها ومراسليها الحرص على عدم ظهور النساء في أي لقطة في تقاريرهم حتى لو كانت الصور مأخوذة من الشارع.[٨٤] أما قناتا "اقرأ" و"الرسالة"، فتظهر النساء على شاشتيهما كمقدمات برامج وضيفات أيضاً، لكن يُشترط عليهنّ أن يكنّ محجبات.

كما يظهر على هاتين القناتين بعض الدعاة الذين يُبدون مرونة في موضوع الحجاب. فغطاء كامل الجسد والنقاب، حسب هذا النوع من الدعاة، ليسا الشكل الوحيد للحجاب، بل إن بعضهم مَن يقبل كشف الوجه وأن تتعد أشكال الحجاب وكيفية وضعه وألوانه، وتخصص قناة "اقرأ" فقرة عن "أفكار لوضع الحجاب" ليتماشى مع الموضة والألوان الدارجة.

لكن، تكاد القنوات الدينية تخلو ممن يقر بإمكانية التيسير على المرأة في مسألة الحجاب، وبخاصة تلك التي تعيش في مجتمع لا ينتشر فيه الحجاب. وقد كان عمرو خالد هو الأكثر مرونة في هذا الموضوع. إذ تحدث في إحدى حلقاته على قناة "اقرأ" عن إمكانية التدرج في ارتداء الحجاب. وهو الوحيد من الدعاة الذين تم رصدهم على تلك القنوات مَن لم يُشكك بإسلام المسلمات غير المحجبات ودعاهن إلى ارتداء الملابس المحتشمة وتجنب المثيرة على الأقل إذا لم يقررن ارتداء الحجاب بعد: "في مش محجبة بس محافظة على لبسها أرجوك خليك منهم" ويستطرد: "أنا مش عايزك تتحجبي بس أرجوك البسي كويّس". وقد تعرض عمرو خالد جراء ذلك إلى انتقاد شديد من الدعاة السلفيين.

والحقيقة أن موقف الدعاة السلفيين من عمرو خالد، على وجه التحديد، اتسم بالحدة والتشنج دائماً. وقد تعرض عدد منهم له واتهموه بالجهل بالدين والادّعاء. ويأخذون عليه التساهل في مواضيع الحجاب ومصافحة الرجل للمرأة، إضافة إلى رفضه الختان، ومواقفه المرنة من الفن والغناء. وقد تهكم أبو اسحق الحويني عليه في خطبة بأحد المساجد وأسماه "مفتي الفنانات"، لأنه تحدث مرة عن وجود الفن في الإسلام، وقبول النبي له، ولأن خالد دعا الفنانين والفنانات إلى "عدم الاعتزال"، والحرص على تقديم الأدوار التي تكون على درجة من "القيم والأصالة". ووصف الحويني منهج عمرو خالد هذا بـ "الرديء والسيئ". كما ينتقد الدعاةُ السلفيون خالد وسويدان لوجود نساء في جمهور برامجهما أحياناً.

ب. تعميق الأدوار النمطية للمرأة والرجل

يُعمّق مضمون الفضائيات الدينية التي تم رصدها الصورة النمطية للمرأة والرجل. المرأة للإنجاب والأعمال المنزلية ورعاية الزوج والأولاد فقط، والرجل للعلم والعمل. ويعتمدون في هذا التقسيم للأدوار على الفروق البيولوجية بين المرأة والرجل. وهذا "مبدأ تقسيم أسطوري – طقوسي" قال بورديو إن إنتاجه يُعاد تاريخياً لكل الكون، و"يتأسس بين الرجل والمرأة على أرضية المبادلات الرمزية، وعلى أرضية علاقات الإنتاج لرأي المال الرمزي حيث الإجراء المركزي هو السوق الزواجية".[٨٥]

وهذا ما ينطبق على دعاة الفضائيات، وبخاصة السلفيين والوهابيين، الذين لا يرد أيُّ ذِكر للمرأة من قبلهم إلا بصفتها زوجة أو أماً فقط. ونادراً ما يتم التطرق للمرأة الابنة أو تلك التي لم تتزوج وتنجب، لأن مكانة المرأة، برأيهم، تتحقق من كونها زوجة وأمّاً صالحة.

ويعمق هؤلاء، بحديثهم عن المرأة المتزوجة فقط، النظرة "الأسطورية الطقوسية" للفتاة غير المتزوجة، لأنها تبدو وكأنها خارج الاهتمام، وفي وضع غير طبيعي، ويتم تضخيم أمر عدم زواجها بالإكثار من الحديث عن "نسب العنوسة" "وزيادة عدد النساء على الرجال". وهي أمور لا تُحل، حسب رأيهم، إلا بتعدد الزوجات الذي يدعون المرأة أن تَقبل به وتشجع زوجها عليه "لأنه يساعد أختاً لها مسلمة أن تعيش حياة طبيعية"، تتمثل حسب رأيهم، في الأمومة والزواج فقط.

وقد تكرر على لسان الدعاة الذين تم رصدهم، مثل محمد حسان، ومحمود المصري، وأبو اسحق الحويني على وجه الخصوص، أن الوظيفة الحقيقية للمرأة هي "صنع الرجال" بمعنى الإنجاب فقط. وهي بالطبع صناعة لا تتطلب شهادة جامعية ولا معرفة ولا علماً. بل تحتاج أن يقتني الرجل عدداً من النساء كي يصنعن له الرجال. و"صناعة الرجال" بهذا المعنى ليس بمعنى التربية التي تتطلب أن تكون المرأة

متعلمة ومثقفة وقادرة على الاطلاع على أساليب التربية وفهم تركيبة الأطفال والمراهقين والأولاد والبنات، بل هي تلك التي تُحسن تنظيف البيت وإعداد الطعام والمعاشرة الزوجية.

ينسجم خطاب الفضائيات الدينية هنا مع النظام الاجتماعي الذي "يشتغل باعتباره آلة رمزية تصبو إلى المصادقة على الهيمنة الذكورية التي يتأسس عليها"، وهو التقسيم الجنسي للعمل المبني على "الاختلاف التشريحي بين الأعضاء التناسلية"، الذي يُساق على أنه "التبرير الطبيعي للاختلاف".[٨٦]

وبذلك تُوزع النشاطات الاجتماعية لكل من الجنسين بشكل صارم. الرجل للسوق، والمنزل للنساء.

لذلك يقلل الدعاة السلفيون الذين يظهرون على الفضائيات الدينية من أهمية العلم والشهادة الجامعية للنساء، ويقولون إنها من الأمور غير الضرورية لهن، ويضعون القيود التعجيزية على ظروف تعليم المرأة، ويُحرّمون التعليم المختلط على المرأة فقط.

يقول أبو اسحق الحويني في خطبة بأحد المساجد رداً على امرأة جاءته تبكي لأن ابنتها قررت ترك دراسة الصيدلة بالجامعة بعد أن سمعت أبا اسحق الحويني يُحرّم الاختلاط في التعليم: "كل البنات اللي في الكليات المختلطة آثمات كلام نهائي فيش فيه لغط ولا إبرار إحنا مش محتاجين للنسوان في الكلام ده الرجال عندها المواهب يقول لي طبيبة ممرضة آه نعمل تمريض نسائي كامل كلية طب كاملة ليس فيها رجل آه ماشي الكلام عايز تعمل أي حاجة اعملها للنساء فقط لا غير ما عندناش مانع وأنك أنت تمهد السبل والمواصلات الخاصة اللي تحمل النساء فقط مثلاً وتؤمن المسألة بشرط ما يكونش المسافة مسافة قصر لا بد فيها من محرم إذا كانت الدولة تعمل التدابير ده هيه ما فيهاش مشاكل لكن المسألة تايهة ببعضها يبقى لأ هذا هو الحكم الشرعي قبله من قبله ورده مَن رده".

وقد كان موقف الدعاة السلفيين من العمل أكثر حدة وصرامة واستنكاراً، إذ لم يرد أي ذكر للمرأة العاملة، في المواد التي تم رصدها، إلا بصورة المرأة المُخالفة لـ "لصورة المثالية"، لأن العمل قد يضطرها لأن تختلط بالرجال وتتحدث معهم، وأن تنخرط في أماكن "ليست لها ولا تلائمها"، ولأن الرجال يقومون بكل عمل خارج البيت بشكل أفضل من النساء، الأمر الذي يعني أن الرجل أفضل من المرأة في كل المقومات اللازمة للعمل خارج البيت، بما فيه العمل الفكري والعقلي. وهذا ما يُفهم من قول الحويني في رده على أم طالبة الصيدلة: "إحنا مش محتاجين للنسوان في الكلام ده الرجال عندها المواهب".

على النقيض من ذلك تماماً يقف عمرو خالد الذي يرى أن المرأة في التاريخ الإسلامي كان لها وضع أفضل مما هي عليه الآن. ويرى أن ما يُنادى به من عدم إشراك المرأة في المجتمع وعدم السماح لها بالعمل هي من "التقاليد" التي تُقيد المرأة و"ليست من الدين". ويرجع هذا، حسب عمرو خالد، إلى أن هناك "مَن يفهم الدين بشكل خاطئ" و"يلوي عنق الدين ليقيد المرأة". وقد خصص خالد في برنامج "مع التابعين" الذي بُث على قناة "إم بي سي" في رمضان (آب العام ٢٠١١) حلقة خاصة عن زينب بنت علي بن أبي طالب باعتبارها نموذجاً لما يجب أن تكون عليه المرأة المسلمة من وعي ومساهمة في حل مشاكل المجتمع. فزينب هي التي أنشأت أول دار مسنين في الإسلام وباشرت العمل الخيري منذ كان عمرها خمسة عشر عاماً: "والله يا جماعة إحنا المرأة كانت مكرمة في تاريخنا قوي والله عيب اللي بيحصل دلوقتي (الذي يحدث هذه الأيام) يعني بنمنع ستاتنا (نمنع نساءنا) من العمل التطوعي والخيري واحنا (نحن) عندنا امرأة في الخامسة عشرة من عمرها فتحت بيت مسنين وبيت عجزة وتقول لي المرأة ممنوعة، و... وتفسيرات دينية خاطئة لدور المرأة معندناش (لا يوجد لدينا) في العالم العربي قائدة رأي ... طلّعوا لي كدة عدوا لي عشر ستات (سيدات) في العالم العربي يقودوا رأي النساء للإصلاح أتحداكم لو تطلعوا لي عشرة ليه لأنه تقاليدنا كبتت المرأة في حين ده مش (هذا ليس) ديننا ما تلووش (لا

تلووا) عنق الدين وتقولوا ده (هذا) الإسلام ما أهه أنا بحكي القصة دي ليه؟ .. أدي (هذه) زينب أهيّة الحسن وعلي بن أبي طالب بيخدوا (يأخذون) برأيها ومش كدة وبس ده فاتحين لها دار علشان (كي) تعمل عمل تطوعي وخيري ... والله أنا مكسوف (خجلان) من وضعنا الحالي ونربطه بالدين ويضحك العالم علينا ويقولوا لك بص بيعاملوا المرأة ازّاي (انظر كيف يعاملون المرأة) ونقول أصل ديننا بيقول كدة (يقول هذا) لأ ديننا ما بيقولش كدة كون أنه أنتم فهمتم غلط لا ما تربطوش ده (لا تربطوا هذا) بالدين".

لكن رؤية خالد للمرأة ودورها جوبهت برفض الدعاة السلفيين والانتقاد كما أسلفنا، كما لا يمكن القول إن هذه الرؤية حاضرة في القنوات الدينية لأن عمرو خالد لا يظهر على القنوات ذات التوجه السلفي، بل على قناتي "الرسالة" و"اقرأ" في الماضي والقنوات الليبرالية مؤخراً.

ج. تكريس عدم المساواة بين الرجل والمرأة وأفضلية الرجل

لا تُكرس الفضائيات الدينية والدعاة الذين يظهرون عليها الأدوار النمطية بين الرجل والمرأة فحسب، بل أيضاً أفضلية الرجل على المرأة من حيث الإمكانات الخَلقية والمكانة والأهمية والمناحي والمُقومات كافة، بما فيها العقل. ويقولون أيضاً إن هذه الأفضلية "آتية من عند الله". لذلك، يحرص دعاة الفضائيات الدينية على عدم إعطاء أي اعتبار لأي تميُّز ممكن أن تحققه المرأة على الرجل من خلال العقل أو الفكر أو العمل أو الإنتاج أو المكانة الاجتماعية. ويستنكرون أي قوة قد تستمدها من البروز في تلك المجالات. بل يعتبرون أي تفوق للمرأة على الرجل "إخلالاً للوضع الطبيعي" ولمفهوم قوامة الرجل في البيت، بل إن من دواعي سعيها إلى طاعة الله الإبقاء على أفضلية الرجل عليها وعدم محاولة مخالفة هذا الوضع حتى لو وُهبت مقومات الأفضلية.

أشارت عدد من النساء اللواتي تمت مقابلتهن إلى سلسلة حلقات بُثّت على قناة "اقرأ" بعنوان "ليلة في بيت النبي"؛ وهي حلقات خُصصت

لشرح كيفية "بناء بيت مسلم على أسس صحيحة"، وتضمنت نصائح للرجل والمرأة كي يبنيا حياة أسرية "سعيدة في الدنيا والآخرة". وبالعودة إلى تلك الحلقات، لم يُشر محمود المصري الذي يُقدم تلك الحلقات إلا إلى نموذج ربة البيت والأم والزوجة. ولم يأتِ من قريب أو من بعيد بمثال على امرأة عاملة أو منتجة أو أي امرأة تجيد شيئاً آخر غير التنظيف والإنجاب وتربية الأولاد ورعاية الزوج، وهي أمور تؤيد "الرأسمال الرمزي" الذي يقول بورديو إنه يكون ممسوكاً من الرجال، فيما لا تستطيع النساء الظهور فيه إلا كأشياء".[٨٧]

لكن محمود المصري في برنامجه المذكور يدعو المرأة إلى ألا تسعى إلى أن تتساوى مع الرجل في العلم والعمل والمكانة لأفضلية الرجل في ذلك. إذ دعا المرأة في إحدى نصائحه الأربع لكي تسعد في حياتها الزوجية إلى تجنب معاملة زوجها بـ "ندّية"، أي بأنها مساوية له. وفسر المصري الندّية "المرفوضة" بين الأزواج لإحدى المتصلات بأنْ تُعامل الزوجة زوجها وكأنها مثلها مثله في العلم والعمل والمكانة على وجه التحديد: "أنها تعامله زيّي زيك إن كنت أنت معك شهادة أنا معاية (معي) شهادة إن كنت أنت بتشتغل (تعمل) أنا بشتغل (أعمل) ليك (لك) مكانتك أنا لي مكانتي الندية دي غلط ...".

وبذلك يُفهم من هذا القول أنه يُحظر على المرأة، التي تريد "السعادة الزوجية"، السعي إلى التميّز في العلم أو العمل أو المكانة لأنها مجالات يُفترض بالمرأة أن لا تطرقها، وكي لا تقع في خطأ "الندية" مع زوجها، بل يجب عليها أن تحرص على أن تبقى في منزلة أقل من زوجها، وأنه إن حدث وتميزت في تلك المجالات فيجب ألا تستخدمها كمصدر قوة لها، ولا كمصدر مساواة بينها وبين زوجها، لأنها أمور لا تُقاس بها أفضليتها على زوجها حسب رأيهم.

ويقر المصري بأن العلم والعمل والمكانة مصادر قوة للمرأة، لكنه يدعوها إلى أن لا تستخدمها لتتساوى مع الرجل، وأن تبقى ضعيفة وتُظهر هذا الضعف لزوجها وأن تُشعره بذلك الضعف حتى لو كانت

في الحقيقة تمتلك أسباب القوة (علم، عمل، مكانة) فيضيف مباشرة بعد أن دعاها إلى عدم معاملته بـ "ندّيّة": "قوتك في ضعفك". يفسر المصري الضعف بالحنان والطيبة والهدوء والاستكانة والانكسار. ويرى أنها أمور تُشعر الرجل بالقوامة، أي أن المرأة، برأي هؤلاء، يجب أن تُشعر الرجل بالأفضلية إن هو لم يشعر بها: "والزوج لما يحس كده إنه فعلاً لما يلاقي زوجته حنيّنة (حنونة) وطيبة وهادية ومستكينة مش معنى كده أنه الزوجة تكون منكسرة لدرجة أن ما يبقاش ليها شخصية مش قصدي، أنا قصدي بس أنه هي تكون هادية مع زوجها وحنيّنة ومحسساه أنه هو الرجل هو اللي ليه القوامة". وهو بذلك يطلب من المرأة قدراً من استشعار الدونية و"درجة من الانكسار" لا تصل حد إلغاء الشخصية، لكنها فقط إلى الحد الذي يُشعر الرجل بـ "القوامة".

ويُحذر المصري المرأة من أن ترفع صوتها حتى لو كان ذلك للمطالبة بالحق: "تأخذي اللي أنتِ عايزاه (ما تريدين) مش (ليس) من خلال إثبات شخصيتك وكرامتكِ ومكانتك".

يتفق أبو اسحق الحويني تماماً مع ما يقوله المصري عن فضل ضعف المرأة وضرورة إظهارها هذا الضعف، وينتقد أي محاولة منها أن تكون قوية حتى لو كان ذلك من خلال العلم والعمل، ويعتبر هذا النوع من القوة استغناء عن الرجل وضرباً من ضروب الاسترجال "الذي أدخلته المسلسلات والأفلام". ويرى أن استقلال المرأة اقتصادياً هو دافع لتمرد المرأة على الرجل، وسبب مباشر للنشوز والتحدي والانتصار على الرجل، وهو الأمر الذي يجب ألا يحدث. ويدعو الحويني الرجل إلى كسر هذا النوع من النساء وعدم الخضوع لهن. يقول على قناة الخليجية: "هي تكون قوية وسعيدة لما تلاقي رجل ضعيف ... لما تمشّي كلامها عليه ... لكن الرجل الرجل يكسر المرأة اللي عايزة تعمل راجل ... في كثير من الحياة تتعكر بسبب التحدي ... المرأة تتصور عايزة تبقى شخصية ... ده اللي تعلموه من الأفلام والمسلسلات والقصص الغرامية ... أنت معك ليسانس وأنا معاي ليسانس، أحنا الاتنين زي

بعض، أنت بتحط جنيه أنا بحط جنيه ... المرأة كل ما تكون مستغنية كلما تنشز أكثر، إلا إذا كانت امرأة نبيلة نفيسة ... علموها إزاي تعترض على الراجل وتقول راسي براسك، وأنا قلت في الحالات اللي قبل كده أنه لأ .. لا سواء ... مش احتقاراً للمرأة لأ.. ربنا عز وجل رتب مسافة بين الرجل والمرأة قال للرجال عليهن درجة".

ويُعدُّ هذا النهجُ النساءَ لوظيفة "المساهمة في تأبيد أو زيادة رأس المال الرمزي" من خلال ترسيخ "المكانة الممنوحة" لهنّ طقوسياً عبر التقسيم الجنسي الذي يجعل النشاطات الرسمية والعامة حكراً على الرجال.[٨٨] وبهذا، فإن النساء يُساهمن بإعادة إنتاج "الهيمنة الذكورية" التي يرى بورديو أنها تطلبت على مر التاريخ تواطؤ الطرف المهيمَن عليه.

وبذلك، فإن أي تنازل من مالك رأس المال الرمزي، وهو الرجل، يكون هبة منه، وبالقدر الذي يراه، بحيث لا يؤثر على قوة رأسماله واستحواذه له.

ويرى الحويني أن الرجل يجب أن يُحسن معاملة زوجته لأنها أسيرة في سجن الرجل، ولها ما للأسير من حُسن المعاملة، وأن الرجل الآسر دكتاتور، وعلى هذا الأسير (المرأة) أن يتفهم بطش هذا الدكتاتور الآسر. فيقول في برنامج آخر على فضائية الحكمة: "الرجل بطبيعة الحال دكتاتور، معه صلاحيات واسعة جداً، النبي صلى الله عليه وسلم قال في الخطبة الأخيرة في حجة الوداع قال (واتقوا الله في النساء فإنهن عوان عندكم) عواني جمع عانية وهي الأسيرة فالمرأة أسيرة ما تقدرش (لا تستطيع) تتجوز واحد تاني لازم تأخذ إفراج ... طول ما هي موجودة في السجن بتاعك (في سجنك) ... فأنت إذا كنت رجلاً كريماً وعندك أسير كيف تُجيعه؟ كيف تضربه؟ كيف تهينه؟ وهو الأسير لا يملك من أمر نفسه شيئاً؟ هي دي الشجاعة ولا الرجولة؟ ... خرجت المرأة من هذا وبقت (أصبحت) نكدية وبقت عايزة تبقى زي الراجل لها نفس الصلاحيات فاختصرت المسافة بين المرأة والرجل".

ويتضح من الكلام الوارد أعلاه ما يترتب على النظر إلى المرأة بمنظور "الأسر" البغيض الذي يسلب حرية "المأسور" ويصادر الكثير من حقوقه، وتكون حُسن المعاملة من الآسر للمأسور مرهونة بـ "شجاعة الآسر (الرجل)" وكرم أخلاقه، وهي أمور يقوم بها طوعاً ومن طيب خاطره، وليس للأسير في حالة الأسر أن يُطالب بحقوق أكثر من الحقوق التي تُبقيه على قيد الحياة، وتحفظ له الحد الأدنى من الكرامة الإنسانية.

وينطبق غياب المساواة بين الرجل والمرأة أيضاً على الأخلاق والسلوك. فما قد يُقبل من تجاوزات للرجل، لا يُمكن أن يُقبل للمرأة. هذا ما يكرسه محمود المصري في نصائحه ويُبقي على أفضلية الرجل في ذلك. فالمرأة، حتى وإن سبّها زوجها أو وجه لها كلاماً جارحاً، عليها ألا تعامله بالمثل، بل يجب أن تقول له "الله يسامحك"، أو تصمت، أو تبتعد عنه، لأنه على الأرجح أن تكون هي مَن أثارت غضبه، وينصحها بأن تعود وتطلب منه السماح حتى لو كان مخطئاً: "لو هو قال لك لفظ مش كويس قولي له الله يسامحك أو على الأقل اسكتي أو نصيحتي ليكِ سيبيه (اتركيه) وابعدي عنه شوية (قليلاً) لمّا يهدأ وهو لمّا يهدأ تعالي صالحيه حتى لو كان هو اللي (الذي) غلطان ربنا حيكرمك (سيُكرمك) وحيجزل (يُجزل) لك العطاء، وهو حيقدرهالك (سيُقدر هذا الموقف) لو كان أصيل". وينصح المرأة التي قد يكون زوجها غير أصيل ولا يقدّر اعتذارها له مع أنه مخطئ بأن لا تتذمر ولا تشتكي ولا تشعر بالظلم، بل ينصحها بأن تصبر وتحتسب الأجر عند الله. ولم يذكر المصري ما يتوجب على المرأة فعله إذا لم يكن زوجها "أصيلاً"، وساقه سلوكها المستكين إلى التمادي في إيذائها.

ويكرس هذا النهج في التعامل بين المرأة والرجل قانون "الغلبة للأقوى" فقط وليس لمن هو على حق، الأمر الذي يعزز ظلم الضعيف، وهي المرأة هنا، واستقواء القوي، وهو الرجل، طالما أن الضعيف المظلوم مطالب بالاعتذار للظالم المتمادي، وطالما أن الأجر والثواب ينتظر هذا الضعيف في الآخرة.

كما تُرسخ هذه النظرة للمرأة الضعف والعبودية والانهزام، من خلال عدم استخدام العقل والاعتماد فقط على مزايا جسدها المثير لشهوة الرجل التي تُعيده لها.

وتنطلق مطالب الدعاة بإظهار المرأة ضعفها وانكسارها من الفروق البيولوجية بينها وبين الرجل، التي تعني، برأيهم، غلبة العاطفة عليها، وبالتالي ضرورة بقائها في المنزل وعدم أهليتها للعمل خارجه أو مشاركة الرجل حياة أو نشاطات أخرى غير إطار الأسرة والزواج.

وهذا يندرج في إطار ما سمّاه بورديو "ترويض أجساد الرجال لجعلها أكثر ملاءمة لاستعمال الذكورة والهيمنة، والنساء لقبول هذا النظام على أنه بديهي وطبيعي".[٨٩]

وبناء على هذا، تُقدم صورة الرجل "القوام" القوي الحكيم الذي يُحكّم العقل، والذي يستحق الطاعة، ويتوجب الصبر على خلقه إن ساء، لأن "رضاه من رضا الخالق".

ومن تكريس أشكال إخضاع المرأة وأفضلية الرجل عليها افتراض إثم المرأة وإعطاء الزوج الحق المطلق في تأديبها، حتى لو كان ذلك من خلال الضرب. وقد ذهب أحد الدعاة إلى استحسان هذا الأسلوب في معاملة الزوج لزوجته، لأنها "تحتاج إلى تأديب". بل إنه يرى أن المرأة "تُكرّم بالضرب". يقول الشيخ سعد عرفات على قناة الرحمة: "إن الله كرم المرأة بهذه العقوبة عقوبة الضرب .. قال نبينا (ص) ولا تضرب الوجه ولا تقبح شوف كرمها إن ضربَها فلا يضربها على وجهها حتى وهو يضربها لا يسبها ولا يشتمها عجيب! إذا هو يضرب للتأديب، وإذا ضرب لا يزيد عن عشر، وإذا ضرب لا يكسر عظماً ولا يقطع لحماً ولا يكسر سناً ولا يفقأ عيناً، أدب عند الضرب، إذا ضرب عند التأديب لا يرفع يده إلى أعلى بل يضربها بحزام صدره، كل هذا تكريم للمرأة، هي تحتاج إلى تأديب، تحتاج إلى تأديب فكيف يؤدبها زوجها؟ بالوعظ، فإن لم ترتدع ولا تنزجر بالهجران، فإن لم تنزجر بالضرب، وجعل شروطاً

للضرب ... كمان تكريم الإسلام للمرأة أنه لم يجز العقوبة بالضرب كما قال أهل العلم إلا في حالة واحدة عند امتناعها عن فراشه".

ويتعارض إجبار الزوجة على معاشرة زوجها بالضرب مع أجواء "المودة والرحمة" التي تحدث عنها القرآن كأساس للعلاقة بين الزوجين. كما يتعارض ذلك مع مبادئ حقوق الإنسان وحقوق المرأة.

وينظر عدد من الدعاة إلى المرأة بفوقية وبأسلوب من الاستهزاء والاحتقار. فقد ورد على لسان أبو اسحق الحويني مرة أن "الجهل متفش في النساء"، وأن "العلم إنما هو للرجال". كما قال في أحد دروسه إن من أسباب الخلافات في الأسرة "الغباء المستحكم في بعض النساء". وقد دأب على ذكر النكات التي تشير إلى سذاجة المرأة وضعفها فيقول إن امرأة دخل عليها زوجها فوجدها مختبئة لأنها رأت صرصاراً، وهو يرى أنها يجب ألا تخاف لأن الصراصير، برأيه، "أصدقاء المرأة".

ويتخذ هؤلاء الدعاة من ضعف المرأة حجة بعد ذلك لتبرير تعدد الزوجات دون ضوابط. بل إن هؤلاء الدعاة ينتقدون التضييق على تعدد الزوجات في قسيمة الزواج المصرية.

وقد يشمل هذا الاحتقار شرائح أخرى من المستضعفين والفقراء من المسلمين غير العرب. كما فعل محمد العريفي الذي اتخذ من موقف رواه عن أحد العمال الآسيويين مادة للسخرية في إحدى خطبه. يقول وهو يقلد لَكْنَة ذلك العامل وسط ضحكه هو وجمهوره: ".. أصابته ضربة شمس ووقع على الأرض فحملوه وذهبوا به إلى مستشفى أجياد المقابل للحرم .. بعد خمس أو أربع ساعات أفاق أول ما أفاق التفت يمين فإذا الغرفة أبيض في أبيض، التفت يسار فإذا الغرفة كلها نظر إلى الشرشف إلى البطانية إلى السرير فإذا أرائك بيض، المسكين شم الريحة فإذا هي طبعاً هي ريحة ديتول لكن أحسن من ريحته، يعني فأعجبته الريحة، فظن أنه في الجنة، فقال الله أكبر أشهد أن وعد الله حق، الجنة الجنة، فالتفت يمين فرأى خمس ممرضات فلبينيات، فلما شافهن لابسات

أبيض في أبيض قال الله أكبر الحور العين الحور العين الممرضات ما يفهمن هذا إيش قاعد يقول، فظنوا إنه مجنون وبينزل من السرير أخذ الشرشف ورماه وبيروح للحور العين فالممرضات أقبلن عليه بسرعة يمسكونه، فقال لا واحد واحد واحد واحد".

د. احتكار الحقيقة ونبذ الاختلاف

يستفيد دعاة الفضائيات السلفية ويكتسبون أهمية في كل ما يقولون لأنهم يمتلكون "أدوات إنتاج المعلومات" التي يسيطرون من خلالها على "المواطنين البسطاء". وينطلقون من تلك الأدوات "الفضائيات" من أجل نشر أفكارهم عن المجتمع من خلال محاكاة ما يعتقدون أنه "النهج السلفي في الحياة" الذي سار عليه النبي وصحابته، وينبذون أي منظار آخر للسلف، ويدّعون أنهم يحتكرون الحقيقة دون غيرهم.

فهم، كما غيرهم ممن لهم إمكانية استخدام التلفزيون، يتلاعبون بعقول المشاهدين بممارسة نوع من الهيمنة المستمدة من "سلطة أن يكون لك وجود عام، وأن تكون معروفاً، وأن تعبر إلى الشهرة العامة".[٩٠]

وحاولوا بذلك أن يفرضوا على كل المجتمع المبادئ التي ينطلقون منها في رؤيتهم للعالم، ومن ذلك محاولة هؤلاء على تفسير الكثير من مشاكل الحياة بأنها نتيجة "ابتعاد المسلمين عن الدين"، وطرحهم حلولاً تتسم بالبعد عن النظرة العلمية والمنطقية.

فيرى أبو اسحق الحويني مثلاً، أن سبب الفقر في بلاد المسلمين ليس قلة الموارد والتخلف والفساد، بل يعزو ذلك إلى ترك الجهاد الذي يُدر الغنائم من الأموال والعبيد والنساء على المجاهدين. لذلك، فإن حل مشكلة الفقر في نظره يكمن في العودة إلى عهد الغزوات والاستعباد والرق، لأن الرقيق مصدر دخل للمسلمين. يقول في تسجيل صوتي له منشور على الإنترنت: "هو إحنا الفقر اللي إحنا فيه إلا بسبب ترك الجهاد؟ مش كنا لو كل سنة عمالين نغزو مرة ولا اتنين ولا تلاتة مش

كان حيسلم (يدخل في الإسلام) ناس كثيرون في الأرض؟ واللي يرفض هذه الدعوة ويحول بيننا وبين الدعوة لازم نقاتله ونخدوهم (نأخذهم) أسرى ونغزو أموالهم وأولادهم ونساءهم وكل دي (هذه) عبارة عن حلول ... كل واحد مجاهد كان بيرجع (يعود) من الجهاد وهو جيبه مليان (غني)، معاه (معه) اثنين ثلاثة وثلاثة أربع نسوان وثلاثة أربع أولاد اضرب كل راس بستمية درهم ولا ستمية دينار تبقى راجع بمالية كويسة لو هو راح علشان (من أجل) يعمل صفقة تجارية في بلاد الغرب عمره ما يعملش الأموال دي. وكل ما يتعزر ياخذ راس سيبيعها ويفك أسرها".

ويوصَف أبو اسحق الحويني على وجه التحديد بأنه "إمبراطور التحريم"، وبخاصة فيما يتعلق بأمور النساء.

وقد استفاد الدعاة السلفيون من قوة التلفزيون كأداة للإقناع و"التلاعب بالعقول" ليوجهوا السلطة المكرسة لهم بظهورهم على شاشات الفضائيات باتجاه مصلحتهم الشخصية.[٩١] ومن الأمثلة على ذلك التشكيك والتسفيه والسخرية التي مارسوها تجاه تيارات دينية أخرى غير سلفية، وبخاصة في قضايا تمس قوة "الهيمنة الذكورية"، واستهدفوا على وجه الخصوص عدداً من علماء الأزهر والدعاة الشباب "المجددين" أمثال عمرو خالد، ومصطفى حسني، والمعز مسعود.

وقد رفع مفتى الأزهر علي جمعة في تشرين الأول ٢٠١١ دعوى تشهير على أبي اسحق الحويني لاتهامه إياه بأنه "ضحل علمياً" لأنه "لم يدخل في قضية تُشرّف الأمة"، ولأنه "لا يرى أن النقاب واجب بل عادة أو ثوب شهرة" ولأنه "لا يوجب الختان". وقد أثارت هذه القضية التي رُفعت على الحويني حفيظة سلفيي مصر فاعتصموا في أواخر تشرين الأول ٢٠١١ أمام جامع الأزهر احتجاجاً على تلك الدعوى فيما سمّوه بـ"جمعة نصرة أبي اسحق". وكان علي جمعة صرّح بأن "السلفيين جعلوا الدين قشوراً" بتركيزهم على قضايا النقاب والختان.

أما مازن السرساوي وهو داعٍ سلفي أيضاً مقرب من أبي اسحق الحويني فيسير على نهج الحوينّي ولا يتورع عن تخوين كل مَن يخالفه الرأي والتشهير به. وقد كان أكثر المنافحين عن أبي اسحق الحويني في قضيته مع علي جمعة. كما كان موقفه حاداً إزاء "الدعاة الجدد" مثل مصطفى حسني الذي قال إن الإسلام لم يبتّ في أمر المعازف، فوصفه السرساوي بأنه ممن "يتسورون على سور العلم والدين بغير حق" واتهم الدعاة الجدد بأنهم "يمهدون للدين الأمريكي الجديد".

أما محمد حسان، فكال لعمرو خالد سيلاً من الشتائم لأنه تحدث في إحدى حلقاته أنه من الممكن القول إن النبي محمد (ص) مر بتجربة فاشلة في إشارة إلى رحلة الطائف. فاتهمه حسان بأنه "فاشل وأفشل أهل الأرض".

ولم يتردد هؤلاء بتخصيص حلقات لانتقاد سياسيين ومفكرين وإعلاميين بل ودعاة آخرين. فلأبي اسحق الحويني حلقات وخطب ينتقد فيها، بألفاظ نابية، الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله. كما انتقد كثيرون منهم الكتاب من التيارات الأخرى مثل نوال السعداوي، وعلاء الأسواني، والإعلاميين مثل هالة سرحان، ومحمد سعد.

كما تعرض عدد منهم إلى تكفير الشيعة وذمهم، وكذلك غير المسلمين من المسيحيين واليهود. بل إن قناتي "الحكمة" و"الحافظ" تُخصصان برامج وفقرات للرد على الشيعة، ومناقشة أفكار "صلب المسيح" و"حمل مريم العذراء به"، وهو ما ليس موضوع نقاش في هذه الدراسة.

ويجدر بنا هنا أن نذكر أن مساحة لا بأس بها تُخصص من برامج القنوات الدينية لتقديم الوصفات الطبية بالأعشاب والقرآن. ويقول "الخبراء المستضافون فيها" إن ذلك من الطب النبوي، وهي وصفات فيها الكثير من الخطأ من وجهة نظر طبية، إذ يتعارض مفعول تلك الأعشاب في تأثيرها على الجسم كما يقول الأطباء.[٩٢]

ويكثر في هذه القنوات الاستعانة بمعلومات أو دراسات غربية لإثبات فتاوى هؤلاء الشيوخ. فقد خصص أحد الدعاة حلقة على قناة "اقرأ" قال فيها إنه أتى ببحث من جريدة أمريكية يقول إن عقل الرجل يختلف عن عقل المرأة، واعتبر هذا دليلاً على أن المرأة ناقصة عقل.

وكثيرا ما تُناقش مواضيع لا تُشكل أي أهمية في حياة الناس، مثل حلقة على قناة الحكمة استُضيف بها أبو اسحق الحويني للحديث عن ما إذا كان مصير أبناء المشركين في الآخرة الجنة أم النار.

مقابل ذلك يدعو قلة من الدعاة مثل عمرو خالد وطارق سويدان والمعز مسعود، وهم الذين يوصفون بـ "الدعاة الجدد" إلى التغيير من خلال العلم وتطوير الذات والعمل التطوعي والمجتمعي إلى جانب الدين.

ويستخدم هؤلاء في دروسهم التقنيات الحديثة للمحاضرات التي تضم عادة رجالاً ونساء، ويعتمدون على الأفلام العلمية القصيرة، ويستشهدون بدراسات حديثة وأمثلة إيجابية من المجتمعات الغربية والشرقية. ويظهر هؤلاء الدعاة بملابس حديثة ولحى حليقة.

نستنتج مما تقدم أن مضمون الفضائيات الدينية يُهيئ كل الاستعدادات لدى المتلقي "المشاهد" رجلاً كان أم امرأة لإعادة إنتاج "الهيمنة الذكورية" في البنية الاجتماعية بناء على "المنطق الأسطوري" القائم على تقسيم الأدوار بين الرجال والنساء من منطلق الاختلافات الجنسية، واختزال النساء إلى حال الأشياء.

كما نستنتج أن الدعاة على الفضائيات السلفية يستخدمون سلطة التلفاز للتلاعب بعقول المشاهدين، من خلال ادّعاء احتكار الحقيقة وتقديم آرائهم دون غيرها عبر إظهار المعلومات عن "طريق الحجب". فهم ينتقون ثم يُظهرون الرؤى السلفية للدين دون غيرها، ويتخذون موقفاً عدائياً تجاه القيم الغربية على اعتبار أنها امتداد للاستعمار الذي لا يُجابه إلا بالتمسك بالموروث الثقافي الديني.

وبمقاربة نتائج تحليل مضمون الفضائيات الدينية بنتائج الدراسة التي أجرتها كلية الإعلام بجامعة القاهرة ومركز الخليج للدراسات على عينة من وسائل الإعلام المصرية والبحرينية العام ٢٠٠٦، والتي أُشير لها في بداية هذه الدراسة، فإن الفضائيات السلفية تندرج تحت إطار التيار التقليدي من بين التيارات الأربعة التي تتحكم في السياسات الإعلامية العربية. وهو التيار الذي "يستمد مشروعيته من الموروثات الثقافية والسلبية تجاه المرأة".

كما نلاحظ أن هذا التيار، الذي إذا ما جاز لنا القول إنه يتخذ من القنوات السلفية منبراً له، يصطدم مع باقي التيارات الأخرى: التحرري الاجتماعي، النسوي، المعولم.

ويشترك مضمون الفضائيات الدينية مع ما يحمله مضمون وسائل إعلام عربية أخرى كالفضائية المصرية والصحف الفلسطينية التي أشارت الدراسات العربية والفلسطينية السابقة التي استُعرضت في هذه الدراسة، إلى أنها تُكرس صورة المرأة المظلومة والمهمّشة والضعيفة.

الفصل الرابع

كيف تتأثر النساء الفلسطينيات في الضفة بالقنوات الدينية؟

الفصل الرابع

كيف تتأثر النساء الفلسطينيات في الضفة بالقنوات الدينية؟

تهدف هذه الدراسة، كما أسلفنا، إلى معرفة كيفية تأثُّر النساء الفلسطينيات في الضفة الغربية بمضمون ما يُبث على القنوات الدينية. وقد أُجريت من أجل هذا الغرض أربعون مقابلة معمقة في الفترة ما بين ٢٠١١/٧/٢٠ و٢٠١١/١١/٢٠ مع نساء فلسطينيات يُمثلن فئات عُمرية مختلفة تتراوح بين تسعة عشر وستة وستين عاماً، يسكنّ في المدن والقرى والمخيمات في محافظات الخليل ورام الله ونابلس والقدس. وتوصف أوضاعهن الاجتماعية بأنها إما ميسورة وإما فقيرة وإما متوسطة، وكذلك مستوى التعليم، فبعضهن يحمل شهادات البكالوريوس ويعمل في حقول مختلفة (وهي النسبة الأقل)، وأخريات من ذوات التعليم المتوسط كالثانوية العامة (وهي النسبة الأكثر). فيما لا تحمل اثنتان منهنّ أي شهادة ولا تقرآن ولا تكتبان، أي أنهما أميتان.

ويُذكر هنا أنه كان من السهل إيجاد نساء يشاهدن الفضائيات بين ذوات التعليم المتوسط والمتدني أكثر من العاملات أو ذوات التعليم العالي.

تمت المقابلات في منازل النساء، وبالاتفاق مسبقاً معهن من خلال أناس يثقن بهم. اختيرت العينة بشكل قصدي بعد التأكد من مشاهدة تلك النساء بشكل دائم للقنوات الدينية. وقد كانت الأسئلة التي وُجهت لهنّ تدور حول الدوافع التي جعلتهن يبحثن عن هذه القنوات وكيفية تأثرهن

بما يُبث عليها، وكيف ينعكس مضمون ما يُبث على سلوكهن الفردي والاجتماعي، والفرق الذي أحدثته الفضائيات الدينية في حياتهن.

كما كانت الأسئلة تهدف إلى معرفة ما إذا كانت النساء يخترن وينتقين المواضيع التي يردن مشاهدتها، وكذلك الدعاة الذين يثقن بهم، أم أن مشاهدتهنّ عشوائية وتشمل كل ما يُعرض من برامج دينية وأي دعاة يظهرون على تلك الفضائيات.

سلوك المشاهدة

تشاهد النساء الفلسطينيات القنوات الدينية عن قصد، وينتقينها دوناً عن بقية القنوات الأخرى، الأمر الذي يعني حسب النظرية الانتقائية أنهن يبحثن في تلك القنوات عن حاجات معينة كما سيتضح لاحقاً. ويفيد استطلاع أجراه مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان في آب العام ٢٠١١ بأن ربع المستطلعة آراؤهم (٢٤٪) يُفضلون مشاهدة البرامج الدينية.[٩٣] وتشاهد ٩٢,٦٪ من النساء الفلسطينيات التلفاز.[٩٤]

وتُبين المقابلات التي أُجريت لهذا البحث أن معظم النساء لا يُفضلن قنوات دينية بعينها، بل يبحثن عن البرامج الدينية لمجرد أنها دينية، ويفضلن أن يشاهدنها على شاشات القنوات الدينية وليس على قنوات أخرى كـ "إم بي سي" مثلاً.

بقياس سلوك المشاهدة، أي عدد ساعات المشاهدة، حسب متغيّرَيّ مستوى التعليم والعُمر، تشير المقابلات إلى أن النساء يختلفن حسب مستوى التعليم والعُمر، ولا تختلف النتائج حسب مكان السكن من المدن والقرى والمخيمات.

يتشابه سلوك المشاهدة لدى ربات البيوت ومعظمهن من ذوات مستوى التعليم المتدني مع أولئك اللواتي تزيد أعمارهن على ٥٠ عاماً، فيما يختلف عن سلوك طالبات الجامعات أو النساء العاملات.

ففي حين تشاهد النساء اللواتي تزيد أعمارهن على ٥٠ عاماً وأولئك اللواتي يقل مستوى تعليمهن عن الثانوية العامة، القنوات الدينية في ساعات النهار، لا تشاهد النساء ذوات التحصيل العلمي الأعلى من الثانوية العامة، وأولئك اللواتي تقل أعمارهن عن ٥٠ عاماً الفضائيات إلا في أيام العطل، وفي ساعات ما بعد الظهر.

كما تبين أن مستوى التعليم يؤثر على كيفية انتقاء النساء لوسيلة المشاهدة. فقد ذكرت جميع طالبات الجامعيات أنهن يعوضن ما يفوتهن من برامج من خلال تحميلها من مواقع الإنترنت التي تنشر برامج الدعاة المعروفين أولاً بأول، وعلى رأسها الصفحات الإلكترونية لتلك القنوات وكذلك موقع يوتيوب.

ويُمكّن استخدام الإنترنت طالبات الجامعات من مشاهدة البرامج الدينية أكثر من مرة، وفي أي وقت، والأهم من كل ذلك أنها تُمكنهنّ من نشرها متى شئن ولأي فئة يردنها. فقد قامت الطالبة في قسم الكيمياء بجامعة بيرزيت (ي.ن) مثلاً بتحميل جميع حلقات "اقبلني يا رب" للشيخ حازم شومان وعرضها على الطالبات في مُصلّى الجامعة. بينما تكتفي ربات البيوت بنقل ما علق في أذهانهنّ من تلك الحلقات شفوياً.

ويعني هذا أن هؤلاء النساء يتمكنّ من خلال مستوى المعرفة والتقنيات المتاحة لهنّ أن يصبحن "وسائل" لتكرار خطاب الفضائيات الدينية الذي يُبث على الفضائيات. ويساهمن بشكل أو بآخر في نشره.

وتضع النساء اللواتي يزيد عمرهن على ٥٠ عاماً وأولئك اللواتي يقل مستوى تعليمهن عن الثانوية العامة مشاهدة القنوات الدينية على رأس سلم أولويات حياتهن اليومية، كما أنهن الأكثر مشاهدة لها لدرجة أن بعضهن يشاهدنها لأكثر من أربع ساعات يومياً. وتحتل هذه القنوات مكانة مهمة في حياتهن. وقد قالت بعضهن إنها حلت في أحيان عدة محل العلاقات الاجتماعية والصداقات أو قلّصتها إلى حد بعيد.

وقد ذكرت جميع النساء اللواتي تمت مقابلتهن من الأمهات أن أبناءهن وبناتهن لا يرغبون في مشاهدة تلك القنوات، وأنهن "يبذلن جهدهن" لجذب انتباههم إلى مشاهدة الفضائيات الدينية.

وعلى الرغم من أن بعض النساء من "ذوات التعليم المتدني" وأولئك اللواتي تزيد أعمارهن على ٥٠ عاماً يشاهدن القنوات الدينية ولا يشاهدن غيرها، إلا الإخبارية أحياناً، فإنهن لا يحفظن أسماء جميع الدعاة الذين يفضلنهم. لكن محمود المصري ومحمد حسان ومحمد حسين يعقوب وعمرو خالد وطارق سويدان وأبو اسحق الحويني وحازم شومان، كانوا الدعاة الأكثر ذِكراً والأكثر تفضيلاً من قبل النساء اللواتي تمت مقابلتهن.

لماذا تشاهد النساء في فلسطين القنوات الدينية؟

تبين من تحليل مضمون المقابلات المُعمّقة التي سُئلت النساء فيها بشكل مباشر عن أسباب مشاهدتهنّ الفضائيات الدينية أن دوافع المشاهدة تتقاطع، بحيث يمكن حصرها بما يلي:

أ. شكل من أشكال التدين:

تشير المقابلات إلى أن النساء اللواتي يشاهدن الفضائيات "مُتديّنات". والمقصود بالتدين هنا وجود مكانة مهمة للدين في حياة تلك النساء تنعكس على ممارستهن شعائر العبادات كالصلاة وأداء العمرة والحج وقراءة القرآن وحفظه.

كما تحرص جميعهن على مظاهر التدين، وبخاصة الحجاب الذي يتفاوت نمطه من امرأة إلى أخرى، حسب البيئة ودرجة التدين. فيوجد من بين مَن تمت مقابلتهن مَن ترتدي النقاب، وأخريات الجلباب، وبعضهن "الحجاب الحديث" المتمثل في غطاء الرأس الملون والملابس المتنوعة بما فيها البنطلون.

وتتردد غالبيتُهن على المساجد لمتابعة دروس الوعظ والنشاطات التي تُنظم فيها. وبذلك يمكن القول إن العلاقة بين مظاهر التدين بالمفهوم الوارد أعلاه والإقبال على مشاهدة الفضائيات الدينية علاقة طردية، أي أنه كلما ازدادت مظاهر تدين النساء ازداد إقبالهن على مشاهدة تلك الفضائيات، وازدادت متابعتهن لها أيضاً. كما أن مشاهدة الفضائيات تزيد أيضاً مظاهر التدين كما سنرى.

تَجمَع النساءَ اللواتي تمت مقابلتهن ونساءً أخريات علاقاتٌ اجتماعية عمادها الدين تحولت فيما بعد إلى "مجتمعات دينية" تمتد في محيطهن الضيق، بحيث لا تتعدى حدود الحيّ أحياناً، يمارسن فيها العبادات ويتشاركن في بعض النشاطات الاجتماعية كارتياد المساجد وعدد من الأعمال الخيرية والعبادات، ويتواصين بالتزام السلوك الديني كالحجاب، ومتابعة الفضائيات الدينية. وقد قالت الكثير من النساء إنهن يتعرفن على تلك الفضائيات والدعاة من خلال علاقاتهن ببعضهن. لذلك، يمكن القول إن مشاهدة الفضائيات الدينية هي أحد العوامل المشتركة التي تجمع بين "أعضاء المجتمعات الدينية" التي نشأت في أحياء المدن والقرى والمخيمات. وقد أجمعت النساء اللواتي تمت مقابلتهن على أن متابعة الفضائيات الدينية أمر ضروري في حياتهن، وأنهن سيبحثن عن تلك القنوات حتى إذا حدث وغابت لأي سبب كان.

ب. التأثر بالمحيط المتدين:

من النساء اللواتي تمت مقابلتهن مَن ربت في محيط متدين؛ أي أنها من أسرة متدينة وكذلك الحي الذي يعشن فيه وصديقاتهن، منهن مَن درسن في مدارس دينية. تُشكل متابعة الفضائيات الدينية لدى هؤلاء أحد أهم ملامح هذا التدين.

ويُلاحظ هنا أن النشأة في بيئة متدينة يجعل مشاهدة الفضائيات أمراً حتمياً، أو على الأقل متوقعاً، فهو (التدين) امتداد لنهج العائلة. ويمكن تفسير هذا السلوك على ضوء "نظرية العقل الجمعي" لإميل دوركهايم

التي يقول فيها إن العقل المشترك للمجتمع هو الذي يوجه الفرد فيه.[٩٥] وبناء على ذلك، فإن العقل الجمعي "المتدين" هو الذي يقود هؤلاء النساء إلى التدين الذي تُشكل مشاهدة القنوات الفضائية أحد أشكاله.

لكن اللافت أن تلك الفضائيات لا تحتل مكانة متقدمة في حياة هؤلاء النساء، ولا تشكل المصدر الوحيد للمعلومات الدينية لهن، إذ يوجد في حياتهن متنفس ديني آخر ومصادر دينية أخرى للمعلومات إضافة إلى الفضائيات.

ويلعب متغير العمر هنا دوراً لافتاً في ماهية المحيط المتدين بالنسبة لهن. إذ تكون الأُسرة هي "المحيط المتدين" لدى النساء اللواتي تقل أعمارهنّ عن الثلاثين، فيما يكون "الجامع القريب" و"الحي" و"الصديقات" هو المحيط المتدين لمن تزيد أعمارهن على الثلاثين.

تقول (إ.أ) من رام الله إن الفضائيات الدينية "تحتل المكان السابع أو الثامن في سلم أولوياتها". وتمارس (إ.أ) نشاطات اجتماعية دينية أكثر جذباً بالنسبة لها كحفظ القرآن في المساجد.

تقول أم مؤمن التي نشأت في بيت متدين، وهي سيدة متزوجة من نابلس وعمرها ٣٢ عاماً: "كنت في بيت أهلي أروح على دروس وكانت تعطينا واعظة، ولما تزوجت انقطعت عن هذه الشغلات (الأمور) وصرت أحضر فضائيات أكثر". أما (إ.أ) من رام الله، و(و.ر) من المزرعة الشرقية قرب رام الله، و(ن.ر) من مخيم الأمعري، و(ي.ن) من الخليل، وجميعهن طالبات في العشرينات من العمر ويدرسن تخصصات مختلفة في جامعة بيرزيت وكلية رام الله التقنية، فيقلن إنهن نشأن في أُسر تتابع الفضائيات الدينية، لذلك فإن متابعتهن لتلك القنوات هي جزء منّ اهتمامات الأسرة. لكنهن يستعنّ بالكتب ومواقع الإنترنت والمحاضرات للاستزادة بأمور الدين. كما أنهنّ يملأن أوقات فراغهن بنشاطات دينية مع مجموعات أرضيتها دينية مثل حفظ القرآن وأنشطة تطوعية أخرى.

ويمكن تفسير ذلك بأن النساء اللواتي تقل أعمارهنّ عن ثلاثين عاماً قد نشأن في أُسر تأثرت بموجة التدين التي عمت فلسطين في ثمانينيات القرن الماضي. وقد تربّت هؤلاء على أشكال أخرى من التدين قبل انتشار الفضائيات مثل الالتزام بالحجاب وممارسة العبادات.

أما النساء الأكبر سناً، فقد تديّنّ في عمر مُتقدم بعد انتقالهن من بيوت أُسرهنّ إلى منازل أزواجهنّ.

ويزداد الإقبال على الفضائيات لدى هؤلاء اللواتي يتحدثن عن "التوبة عن أنماط حياة سابقة غير متدينة".

وقد أجمعت كل النساء اللواتي تمت مقابلتهن على أنهن "يتواصين" بمشاهدة برامج معينة والاستماع إلى دعاة معينين.

ج. شكل من أشكال التوبة:

تشكل مشاهدة الفضائيات لدى النساء اللواتي يزيد عمرهنّ على خمسين عاماً، وبخاصة اللواتي عشن حياة "منفتحة" في الماضي، شكلاً من أشكال "التوبة" و"العودة إلى الله" و"الإخلاص لله" و"رضا رب العالمين" وتعويضاً عن "الجهل بالدين"، وتكفيراً عن "ذلك الضلال" كما سنرى لاحقاً.

وأشارت هؤلاء النساء إلى أنهنّ "التزمن بالدين" في فترات عدم اطمئنان في حياتهن، إما بسبب الظروف السياسية المضطربة، وبخاصة الانتفاضة التي اندلعت العام ١٩٨٧ وامتدت سنوات بعد ذلك كانت فيها حيواتهن معرضة للخطر، أو بسبب اضطرابات في حياتهن الشخصية كوفاة أحد الأحبة. ويقود الشعورُ بفقدان الأمن الناسَ، حسب توماس أوديه، إلى الدين وممارساته.

وتتخذ متابعة الفضائيات الدينية لدى هؤلاء النساء نوعاً من التعويض عن تلك الحياة وعن ذلك "الجهل بالدين" من خلال قضاء الوقت الأكثر

في تعلم أي أمر من أمور الدين، وسماع قصص القرآن والأحاديث عن طريق الفضائيات.

أما النساء الأصغر عُمراً، فلم تذكر أيٌّ منهنّ أمر التوبة، بل أشرن إلى "تثبيت الإيمان" الذي سنفصله لاحقاً.

لا يلعب متغير مستوى التعليم أي دور في مسألة التوبة هنا، لكنه يلعب دوراً في مصادر المعرفة الدينية الضرورية لاستمرار التوبة لهن. إذ أشارت النساء ذوات التعليم الثانوي فما فوق إلى الالتجاء إلى الكتب الدينية، إضافة إلى متابعة الفضائيات، لزيادة المعرفة الدينية، بينما تُشكل الفضائيات الدينية المصدر الوحيد للمعرفة الدينية للنساء ذوات المستوى المتدني والأميّات.

د. البحث عن مكانة اجتماعية:

تشترك النساء اللواتي يتابعن الفضائيات الدينية في الكثير من الصفات والأفكار والسلوك والأهداف والنشاطات. وقد لوحظت، أثناء إجراء مقابلات هذه الدراسة، العلاقة القوية التي تربط بين تلك النساء. فبمجرد ترتيب موعد مع إحداهن، كانت الأخريات يُطلَعن على أمر اللقاء ويحضرن المقابلة ويدلين بآرائهن باهتمام، ويذكرن الكثير من القصص والمواقف المشتركة.

تكون المساجد هي الأنوية التي تجمعهن في مدينة رام الله. لكن العلاقات العائلية والجوار هي أنوية اجتماعاتهن الأصلية في مدينتي نابلس والخليل والقرى والمخيمات المجاورة للمدن الثلاث، توثقت بعد ذلك لتُصبغ بلون ديني، فتصبح علاقة اجتماعية دينية.

وعلى الرغم من أن هؤلاء النساء يؤكدن أنهنّ يجتمعن "في الله فقط"، فإن المستوى الاجتماعي والاقتصادي والعلمي يلعب دوراً في العلاقات التي تربط بينهن. فعندما تكون الاجتماعات في البيوت كما هي الحال في مدينة نابلس، فإنها غالباً ما تكون في بيوت المقتَدِرات مالياً أو ذوات

الجاه من العائلات المعروفة. وتُقدم في تلك الاجتماعات أفخر أنواع الضيافة. تقول (د.ح) المقربة منهن، التي تحضر معهنّ بعض دروس الوعظ أحياناً، إن العلاقات بين النساء في تلك المجتمعات الصغيرة ليست مثالية في السلوك، بل يشوبها ما يشوب أي مجتمع آخر كالنميمة والحسد والتنافس الذي يُلبسنه طابعاً دينياً. وقد لوحظ هذا النوع من التنافس أيضاً بين النساء في "المجتمعات الدينية" التي تكونت في مساجد مدينة رام الله. وهو تنافس ينعكس من خلال النشاطات التي تُمارسها تلك المساجد. فكثير من النشاطات تُقام محاكاةً لنشاطات نُظمت في مساجد أخرى. وتحاول بعض النساء من الطبقة الميسورة "فرض حضورهن"، وكثيراً ما يكنّ محاطات بهالة من التقدير والهيبة من قبل كثيرات.

لكن البروز وعلوّ الشأن في هذه "المجتمعات الدينية" يكون بشكل أكبر لمن تمتلك المعرفة بشؤون الدين وقصص القرآن وتلتزم بأقصى درجات الحجاب وتمارس العبادات. وقد عبّرت جميع النساء بشكل أو بآخر عن الرغبة في الحصول على مكانة وامتلاك المقدرة على إحداث تأثير فيمن حولهن من خلال الدين، وقد برزت هذه الرغبة بشكل خاص عند النساء من ذوات التعليم المتوسط والمتدني. وذكرت النساء، بشكل مباشر أو غير مباشر، أن القنوات الدينية تساعدهنّ على تعزيز هذه المكانة لأنها تزودهن بالعلم الديني الذي يُمكنهن من أن يبرزن من خلاله. وهو ما سنتعرف عليه بالتفصيل في الفصل القادم.

وقد أشار بورديو إلى أهمية الرأسمال (Le Capitale) في التنافس بين أفراد "الحقول الاجتماعية". إذ يسعى هؤلاء إلى الحصول على هذه الرساميل واستثمارها للتمايز، ومن ثم الحصول على مواقع معينة. وليس بالضرورة أن يكون الرأسمال هذا مادياً، فقد يكون اجتماعياً متمثلاً بشبكة من العلاقات شبه المؤسساتية من العلاقات والمعارف، أو قد يكون الرأسمال ثقافياً متمثلاً بمجموعة من "المهارات والقدرات النظرية والعملية في إطار ثقافة معينة تخوّل مالكها مراكز ووضعيات

معينة" تجعلهم "فاعلين اجتماعيين"، وهو ما تسعى إليه النساء في تلك الحقول الاجتماعية الصغيرة.[٩٦]

هـ. الآخرة والفوز بالجنة:

على الرغم من أن دوافع مشاهدة الفضائيات الدينية لدى النساء اختلفت من واحدة إلى أخرى، فإنهن جميعاً ذكرن أن أهم دافع للمشاهدة هو "الفائدة الدينية" التي تتمثل بالاستعداد للآخرة من خلال التفقّه بأمور الدين التي "يجهلنها"، وتعلم المزيد من العبادات والابتعاد عن الدنيا ومغرياتها.

تتعزز الحاجة إلى "العمل للآخرة" عند النساء المتقدمات بالعمر وذوات الحظ القليل من التعليم والعمل، وكذلك أولئك اللواتي يعشن ظروفاً اقتصادية وأسرية صعبة. ويحمل معنى العمل للآخرة لدى هؤلاء ترك أمور الدنيا أيضاً. تقول معظمهنّ إنهن يجدن سلوى في "العمل للآخرة"، حيث ستكون الجنة هي المكافأة مقابل "صبرهن على الدنيا". وهو الأمر الذي يدعو إليه الدعاة دوماً في الفضائيات الدينية عندما يخاطبون المرأة كما أشرنا سابقاً.

وتُعطي هذه الفضائيات للنساء "شُحنة دينية" حسبما وصفتها (هـ.غ) التي تعمل مهندسة وتعيش في الخليل: "أشحن نفسي إذا صار عندي فتور ... هدول (الفضائيات الدينية) بعطوك شحنة لقدام (للأمام) ... كثير بتقوي ... ما بكفي الواحد يظل يقرأ قرآن". أما (م.و) من القدس، فتقول إنها تلجأ إلى الفضائيات إذا أحست بأنها ابتعدت عن الله: "مرات بكون حاسة أنه أبعدت عن ربنا بحس أنه بدي (أريد) أرتدع بدي جرعة ... لما أستمع لهذه الدروس ببلش (أبدأ) قراءتي للقرآن".

وقد أبدت النساء اللواتي فقَدن أحباء لهن ميلاً أكثر للتعلق بالآخرة. تقول (ش.أ) التي فقدت ابنها في حادث انفجار محطة بنزين برام الله قبل سنوات إنها تهدي صلوات إلى ابنها الميت، وهو أمر تعلمته من القنوات الدينية: "قديش بصح لي (قدر ما أستطيع) أهدي ابني ركعتين ثلاثة".

وتؤثر هذه النظرة إلى الدنيا والآخرة على طموح هؤلاء النساء ورغبتهن في تغيير الواقع، إذ يقل لديهن الدافع إلى تحقيق "مكاسب دنيوية" منها العمل والعلم، بل إن تركيزهنّ يُصبح منصباً على القبول بهذا الواقع واستشعار الرضا عنه والإقبال على العمل للآخرة والتفرغ للعبادات فقط. ويتفق هذا مع ما يقوله توماس أوديه عن وظائف الدين الست التي أحدها "تقديم السند العاطفي".

وما تجدر الإشارة له هنا هو أنه عندما يصبح الدين هو مقياس التميُّز والأفضلية في ذهن النساء، فإن ذلك يزيد من أهمية مظاهر التدين الشكلية كالحجاب وحفظ القرآن والأدعية وذكر العبارات الدينية، وتقل قيمة جاذبية العلم والنجاح في العمل كما سنرى.

أما الفتيات الأصغر سناً فيقل زهدهن في الدنيا، لكنّهنّ يُصبغن على عملهنّ الدنيوي طابعاً دينياً كي يأخذن المكافأة في الآخرة. ويواجهن في ذلك تحديات تدعوهنّ إلى التمسك بالهوية الدينية.

وبالنظر لمتغير مستوى التعليم، يزداد مقدار "نذر النفس للآخرة" فقط دون الدنيا كلما تدنى مستوى التعليم ويقل مع ارتفاع مستوى التعليم.

و. تثبيت خيار التديُّن:

تسعى النساء الأكثر شباباً والأوفر حظاً في التعليم إلى تحقيق طموحهن ونجاحهن في الدنيا الذي سيؤدي، إن "لم يُغضبن الله"، إلى السعادة في الآخرة. ويأخذ "العمل للآخرة" عندهنّ معنى مختلفاً يتمثل في "تثبيت خيار التدين والدفاع عنه" ومواجهة "ضغط" مجتمعي لأنماط حياة أخرى متحررة وجاذبة، لكنها مخالفة للأنماط الدينية. فالعمل للآخرة عند هذه الشريحة من مُشاهدات القنوات الدينية يتضمن المحافظة على الهوية الدينية والدفاع عن خيار الاعتقاد في وجه كل من يحاول التشكيك في صحتها وأفضليتها، بل يذهب بعضهن إلى خلق نمط متدين مختلف يُزاوج بين "الأنماط الحديثة" للمجتمع والدين.

لهذا يندرج تحت "العمل للآخرة" عند هؤلاء الفتيات هدفُ "تغيير المجتمع إلى الأفضل" و"الدفاع عن الدين"، وهنّ يجدن ضالتهنّ في الفضائيات الدينية وتحديداً في برامج الدعاة المجددين مثل طارق سويدان وعمرو خالد.

ترى (و.ر) القادمة من أسرة متدينة من قرية المزرعة الشرقية قرب رام الله، والطالبة في جامعة بيرزيت، أن القنوات الدينية زودتها بالمعلومات التي تثبّت إيمانها وتجعلها أكثر قوة عند مناقشة مبادئها وأفكارها الدينية مع غير المتدينين.

وكذلك الحال بالنسبة لـ (ي.ن) من الخليل التي تدرس الكيمياء في جامعة بيرزيت، والتي تقول إن الفضائيات الدينية ساعدتها على التأقلم مع الجو المنفتح جداً في جامعة بيرزيت، الذي يختلف تماماً عن بيئتها المحافظة في الخليل.

لكن اللافت هو أن هؤلاء الفتيات الراغبات في خوض غمار الحياة الاجتماعية وإحداث تغيير فيها، يشاهدن، أيضاً، الدعاة الذين يدعون إلى "البقاء في البيت"، ويحثون النساء على ارتداء النقاب؛ أمثال محمد حسان، ومحمود المصري، وأبو اسحق الحويني، ويعتبرن الاستماع لهم ضرورياً "للاستزادة" و"التعمق" في الدين، لكنهنّ ينتقين ما "يُعمق" الدين في قلوبهن، ويتركن ما قد يعيقهن عن التعليم أو العمل. وتنظر هؤلاء الفتيات لهؤلاء الدعاة نظرة إجلال واحترام حتى لو لم يقتنعن بكل ما يقولون.

ويفسر بورديو قبول هذه الرؤى من قبل النساء بأنهن انسقْن فعلاً إلى الاشتراك في إعادة الهيمنة الذكورية، ومن ثم تأصيلها، وهو الأمر الذي سمّاه بورديو بـ "العنف الرمزي"؛ وهو العنف الذي يشترك فيه ضحاياه بشكل غير محسوس وغير مرئي بطرق رمزية وصرفة للاتصال والمعرفة، أو أكثر تحديداً، بالجهل والاعتراف أو بالعاطفة كحد أدنى.[٩٧]

أما النساء اللواتي يزيد عمرهن على ٥٠ عاماً وذوات المستوى المتدني للتعليم، فخيار التدين لهن نهائي ووسيلة وحيدة للخلاص الفردي.

ز. السلوك والعبادات:

وأشارت كل النساء اللواتي تمت مقابلتهن إلى أنهن يسعين من خلال مشاهدة القنوات الفضائية إلى التعرف على "السلوك القويم"، وبخاصة تلك الأمور المتعلقة بالمرأة مثل "حقوق الزوجة والزوج"، و"تربية الأولاد"، و"الطلاق"، و"النفقة"، وكذلك الأخلاق.

وذكرت النساء ذوات المستوى المتدني من التعليم، وأولئك اللواتي يزيد عمرهن على ٥٠ عاماً، وغالبيتهن ممن نشأن في بيئة متدينة أو تدينّ في مراحل متقدمة من حياتهنّ، أنهنّ يُقبلن على الفضائيات الدينية كي يتعلمن "العبادات" وتفاصيل الصلوات والصيام والصدقات. منهن مَن يقول "صرت أعرف أصلي صح"، "صرت أخشع في الصلاة"، "تعلمت صلاة الضحى". ومنهن مَن يسعى إلى حفظ القرآن والاستفادة من بعض برامج التجويد والتلاوة والقراءات.

كما تبحث النساء في الفضائيات الدينية عن قصص الرسول والصحابة، "لأنها تعطي أملاً"، و"تبين عظمة الإسلام".

أما النساء اللواتي يقل عمرهن عن ٥٠ عاماً وغالبيتهن من اللواتي نشأن في بيئة متديّنة، وتلقين مستوى أعلى من ثانوية عامة، فإنهن يتعلمن العبادات من مصادر أخرى، إضافة إلى الفضائيات الدينية، مثل الكتب، وحلقات الذكر في المساجد.

ح. الراحة النفسية:

تبحث جميع النساء، ممن أجريت معهن مقابلات، وبغض النظر عن أعمارهن، عن "الراحة النفسية" في مشاهدة القنوات التي تعوض برأيهن عن "التقصير بحق الله والدين" و"الأخطاء" التي يرتكبها الإنسان.

ويختلف معنى الراحة النفسية التي تنشدها النساء من امرأة إلى أخرى باختلاف العُمر، فكلما ازداد عُمر المرأة وتناقص الأمل في التغيير الجذري للواقع، تتخذ "الراحة النفسية" معنى الرضا بالواقع الاقتصادي أو الاجتماعي غير الآمن أحياناً بسبب الفقر والاضطهاد، والقدرة على تحمل كُرب الحياة كفقدان الأبناء.

وقد ظهر مفهوم "الرضا" كمعنى للراحة النفسية في إجابات النساء اللواتي يزيد عمرهن على أربعين عاماً. أما النساء اللواتي تقل أعمارهن عن أربعين عاماً، فتتخذ الراحة النفسية معنى القناعة بخيار التدين و"القرب من الله"، وهي راحة تعوضهنّ عن مغريات الحياة التي قد "تُبعدهن عن الدين". تقول (غ.ع) وعمرها ٢٣ عاماً من قرية سنجل برام الله عند سؤالها عن سبب الإقبال على مشاهدة الفضائيات الدينية: "بتريّح (تُريح) نفسياً. بكون حاسة حالي باعدة (مبتعدة) عن الله برجع بعد الحلقة بحس إنه ربنا كريم وغفور ... إشي (شيء) روحاني بيقويني (يقويني) على الدين بعدها بتشجع".

يُلاحظ من دوافع مشاهدة الفضائيات لدى النساء أن الفضائيات الدينية لا تساعدهن في تغيير واقعهن أو تحسينه، بل هي دوافع تُسوّغ هذا الواقع وتُسهّل قبوله والتعايش معه والرضا به.

وقد سُئلت النساء في المقابلات التي أُجريت معهن عما إذا كنّ حققن فعلاً ما ينشدنه من مشاهدة الفضائيات الدينية وعن أثر تلك الفضائيات على حياتهن. أكدت جميعهن على تأثرهن بتلك الفضائيات وإحداثها تغييراً في حياتهن، وهو ما سنتناوله بالتفصيل في الفصل التالي.

الفصل الخامس

كيف أثرت الفضائيات الدينية في حياة النساء الفلسطينيات؟

الفصل الخامس

كيف أثرت الفضائيات الدينية في حياة النساء الفلسطينيات؟

لا يمكن قياس أثر الفضائيات الدينية على النساء في فلسطين دون الإشارة إلى التغيرات السياسية التي انعكست على المجتمع الفلسطيني وزادت نسبة التدين فيه. فموجة التدين التي هبّت على فلسطين في ثمانينيات القرن الماضي، أي قبل انتشار الفضائيات الدينية بسنوات، صبغت المجتمع بصبغة دينية وعززت مكانة الدين فيه كما ذكرنا. لذلك، فإن النتائج التي تم التوصل لها عن أثر الفضائيات الدينية على النساء، لا تعني أن متابعة الفضائيات فقط هي التي أحدثت التغير نحو الدين في حياة النساء. فما يتبين من المقابلات التي أجريت مع عينة من النساء هو أن الفضائيات تلعب دوراً مُكمّلاً لعوامل أخرى تدفع الناس للتدين توجد في الأسرة والمدرسة والجامع والمحيط الاجتماعي. وهي عوامل تحمل النساء على أن يخترن القنوات الدينية طوعاً من بين خيارات أخرى كثيرة توفرها لهن سوق واسعة من القنوات الفضائية، وأن يبحثن عنها إذا ما غابت يوماً.

وقد اتضح من المقابلات التي أُجريت مع النساء الفلسطينيات في المدن والقرى والمخيمات، أن للدين مكانة مهمة في حياتهنّ قبل انتشار الفضائيات، إذ أنهنّ اعتدن على مصادر أخرى تُقوي الدين لديهنّ. لكن

الفضائيات الدينية ساهمت بشكل أو بآخر في تعزيز التدين ومكانة الدين، وجعلته يدخل في كل تفاصيل حياتهن. كما أثّرت على نشر مظاهر معينة للدين، لاسيما الحجاب.

وقد لوحظ من المقابلات أيضاً أن "التحول إلى الدين" كان جذرياً عند النساء اللواتي عشن فترة شبابهن في فترة الثمانينيات. وقد غيّر الدين نمط حياتهن تماماً من "منفتح" ومتحرر في بعض مظاهره أحياناً إلى مُتدين تكون فيه الفضائيات الدينية بمثابة الوقود الذي يُديم هذا التحول ويدعمه ويحول دون التراجع عنه.

أما الجيل الذي جاء بعد ذلك من النساء اللواتي وُلدن في أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات، أي بعد انتشار التدين في المجتمع، فتُبين المقابلات أنهن، بسبب نشأتهن في بيئة أكثر تديناً من تلك التي عاشت فيها أمهاتهنّ وآباؤهنّ، لم يُحدث الدين فروقاً جذرية في حياتهن.

إذا ما رجعنا إلى الحاجات والدوافع التي ورد ذكرها في الفصل الماضي التي تجعل النساء يُقبلن على مشاهدة الفضائيات، يتبيّن من المقابلات أن القنوات الدينية تسد حاجاتهن فعلاً، وتُحقق ما ينشدنه من تثبيت للتوبة والشعور بالرضا وتقوية للعبادات وتحقيق للمكانة الاجتماعية. ويمكن القول إن الآثار التي تركتها الفضائيات الدينية في حياة النساء بفلسطين كانت على صعيدين؛ الفكر والاعتقاد، والسلوك والمظهر.

الفكر والاعتقاد

أحدثت الفضائيات الدينية تغييراً في حياة النساء الفلسطينيات على مستوى الأفكار التي يحملنها عن الحياة ودورهن فيها وجدوى العمل ونوعه.

ويشكل هذا التغيير الجانب الأهم، لأن الأفكار التي تُرسخ في ذهن البشر باسم الدين لن يكون من السهل محوها أو تغييرها فيما بعد، كما أن نقلها إلى أجيال قادمة سيكون أمراً حتمياً.

لم تبث الفضائيات الدينية ما يشجع النساء على تغيير أيٍّ من السلبيات في واقعهنّ، بل عملت على إقناعهنّ بقبول هذا الواقع والتعايش معه. لذلك لم تساهم تلك الفضائيات بمساعدتهن على رفع الظلم عن أنفسهن أو تحسين مكانتهن أو وضعهن الاقتصادي أو الاجتماعي، لأن مضمون ما يُبث يدعوهن إلى الاستسلام والرضا. كما أن الفضائيات الدينية تقلل من شأن أي إنجاز دنيوي ممكن أن يحققنه.

وقد ثبّتت هذه الفضائيات النظرة التقليدية الدونية للمرأة، وأفضلية الرجل عليها، وأصبغت عليها طابعاً شرعياً دينياً.

وبالاعتماد على المقابلات التي أُجريت مع عينة من النساء الفلسطينيات، فإنه يمكن حصر التغيير الذي حدث في حياتهن بسبب مشاهدة الفضائيات على مستوى الفكر والاعتقاد فيما يلي:

أ. تثبيت التوبة:

أجابت السيدات، اللواتي تزيد أعمارهن على الأربعين عاماً، بأن الفضائيات الدينية ساهمت في "تثبيت توبتهن". ويُلاحظ أن هؤلاء النساء لم ينشأن نشأة دينية، وعشن شبابهن في فترة الثمانينيات التي لم يكن المد الديني قد انتشر تماماً في فلسطين. وقد ذكرت جميع هؤلاء النسوة أنهن كنّ "جاهلات بالدين".

لم تقل أيٌّ منهن إنها "تدينت" على يد الفضائيات الدينية، بل إن معظمهن بدأ باللجوء إلى الدين أو "العودة إليه" خلال انتفاضة العام ١٩٨٧ أو بعدها. لكنهن جميعاً أشرن إلى إفادتهن من القنوات الدينية في تقوية الدين وترسيخ القناعة به في نفوسهن، وهنّ يجدن في تلك القنوات نوعاً من التعويض عن "التقصير" في الدين في فترة الشباب، ودأبن على تسمية التحول إلى الدين بـ "التوبة" و"الصحوة" و"الوعي".

تذكر هؤلاء النساء أن الفضائيات الدينية كان لها الفضل الأكبر في استمرارهن بالتدين، والتعرف على تفاصيله، وبخاصة تلك المتعلقة بالحجاب والعبادات والسلوك الاجتماعي كما سنرى. وقد ذكرت كل تلك النساء مظاهر عدة "للذنوب" التي كنّ يفعلنها، كان أهمها السفور (عدم ارتداء الحجاب)، ومصافحة الرجال، والمشاركة في أعراس مختلطة يحتفل فيها الرجال في المكان ذاته، وعدم الالتزام بالصلاة وحفظ القرآن، ومتابعة المسلسلات غير الدينية.

وقد قالت جميع تلك النساء، وهن متزوجات، إنهن يحاولن جذب انتباه أبناءهنّ لتلك القنوات وإشراكهم في مشاهداتها. لكنهنّ جميعاً اشتكين من عدم إقبالهم عليها. بل إن بعضهن لا يتمكنّ من مشاهدة الفضائيات الدينية عادة إلا بغياب الأبناء لأنهم يفضلون قنوات أخرى غير دينية أو قنوات الأطفال.

أما النساء الأصغر عُمراً واللواتي نشأن في أُسر أو بيئات متدينة، فكان لمشاهدة الفضائيات الدينية تأثير أقل حدة في حياتهن. عدد قليل من هذه الفئة قال إن الفضائيات أحدثت تحولاً في حياتهن. واحدة فقط قالت إنها ارتدت الحجاب متأثرة بالفضائيات، لكنّ الفرق الذي أحدثته الفضائيات لدى بقية الفتيات الأصغر سناً مقارنة بالجيل الأكبر يقتصر على تغيير بعض السلوك والممارسات غير الأساسية. فلم تتحدث أيٌّ منهنّ عن "توبة"، بل ذكرت معظمهن أن الأثر يتمثل في الامتناع عن سماع الأغاني ومشاهدة المسلسلات غير الدينية، والالتزام أكثر بالحجاب. وقالت جميعهن إنهنّ يستعنّ بالفضائيات الدينية لـ "لتثبيت الإيمان في قلوبهن". كما أنهنّ كنّ أكثر انتقاء للبرامج التي يتابعنها، لأن لديهن "مخزوناً دينياً وإيمانياً" منذ الصغر وليس كالأخريات من اللواتي "تدينّ" في سن متقدمة، إذ تُقبل هؤلاء على متابعة كل ما يتيسر لهنّ من برامج الفضائيات الدينية ولا يَنتقين منها حتى لو لم يقتنعن بكل ما يسمعن، لأن الهدف، بالنسبة لهن، هو "الاستماع إلى ما يُرضي الله" كنوع من التعويض عما فات.

ب. ترسيخ أفضلية الرجل على المرأة:

ثَبّت المضمونُ الذي يُبث على الفضائيات الدينية في أذهان النساء فكرةَ أفضلية الرجل على المرأة، وهي أفضلية موروثة في الأسرة والمجتمع رسخها دعاة تلك الفضائيات من خلال مفهوم القوامة. وتبين من المقابلات التي أُجريت مع عينة من النساء أن عدداً منهن يؤمنّ بأفضلية الرجل على المرأة من حيث العقل، وبالتالي المكانة في المجتمع والمقدرة والكفاءة أيضاً.

ويلعب متغيّرا العمر ومستوى التعليم دوراً بارزاً في قبول تلك الفكرة. إذ لوحظ من المقابلات أن النساء يتقبلن هذه الفكرة ويقتنعن بها كلما تقدمن بالعمر وتَدنّى مستوى تعليمهن.

تقول أم أشرف التي تعيش في حي الياسمينة بنابلس وهي متزوجة وعمرها ٤٨ عاماً: "الرجال قوامون بكل شيء ... الرجل دائماً له الرأي الأرجح في الأسرة وفي المجتمع ... لازم الست تتنازل ... الرجال قوامون على النساء".

ولا ترى هؤلاء النساء في هذه النظرة أي تجنٍّ على المرأة، فالأعراف والتقاليد العربية الفلسطينية تُفضل الرجل على المرأة، لكن الفضائيات الدينية تُرسخ فكرة أنها أفضلية منحها الله للرجل. وعند سؤالهن عن دعوات المشايخ النساء للصبر على ظُلم الكثير من الأزواج لهن وإساءة معاملتهنّ، كان هناك تفهم وقبول لدى معظم النساء لتلك الدعوات، وكان واضحاً من المقابلات التي أُجريت معهن أن هذا التفهم نابع من الإيمان بأن عقل الرجل أفضل من عقل المرأة، وأن المرأة عاطفية ومُتسرعة. تقول الواعظة (ف.ح) من مخيم بلاطة: "الرجل عنده العقل أكثر من المرأة لكن بطلبوا (يطلبون) من المرأة الصبر ... يا بيجوا على الرجل يا بيجوا على المرأة (إما يتحاملون على الرجل أو يتحاملون على المرأة) دائماً بيخاطبوا (يخاطبون) المرأة لأنها عاطفية أكثر مش (ليست) مضطهدة".

أما (ف.خ) من مخيم شعفاط بالقدس وعمرها ٦٥ عاماً، فتقول إن السبب في تشدد فتاوى الدعاة تجاه المرأة أن كل شيء تقوم به النساء "محظور وعليه شبهة"، ولأن "أكثر أهل النار من النساء عندما صعد إلى السماء قال النبي: من هن يا جبريل؟ قال: هؤلاء ناكرات العشير؟ ومن هو العشير؟ الزوج. ... إحنا قد ما الزوج بعمل فيها لكن الزوج له فرض على الزوجة".

وتجد المُدرسة (ن.ش)، وعمرها ٤٠ عاماً من بلاطة التي ترافق الداعية (ف.ح) عادة، مبرراً لانحياز الكثير من الدعاة للرجل في قضايا الزواج والأسرة: "بدهم (يريدون) الأسرة ما تتفككش (أن لا تتفكك) .... مش بنحازوا (لا ينحازون) ما بدهم البيت يخرب ... ما بدهم الأسرة تتشتت".

وترى (ن.ش) أن هناك حكمة من وراء الضغط على المرأة بأن تقبل بظلم زوجها، لأن لسان حال هؤلاء الدعاة يقول: "بدك (تريدين) كل يوم بيت؟ ... زوج؟ كل يوم بدك (تريدين أن) تنكشفي على رجل؟ لأ (لا) عشان (حتى) هي تقتنع بحياتها وتصبر وتقول أولادي وبيتي وزوجي وتحاول تغير".

وترى (ن.ش) أن صبر المرأة وتغيرها للأحسن من خلال المزيد من الطاعة للزوج يمكن أن تغير سلوك الزوج نحوها، وعليها تقع المبادرة بحسن المعاملة: "لما تتغير هو بتغير هو معها ... إذا كانت الزوجة له أرضاً كان لها سماء ... يعني إذا بتعطيه (تعطيه) حقها بعطيها (يعطيها) حقها وزيادة ... بس إذا أجته بالعناد بده ييجي أعند منها (لكن إذا قابلته بالعناد عاندها أكثر)". ويتطابق قول (ن.ش) هذا مع ما ذكرناه عن رؤية محمود المصري للبيت المسلم الصالح في حلقات ليلة في بيت النبي.[٩٨]

وتقتنع معظم النساء بأن الصبر على أذى الأزواج وظُلمهم هو من أخلاق المرأة المسلمة وسبيل لكسب الأجر والثواب في الآخرة. وقد رددت معظمهنّ قول: "مَن صبرت على خلق زوجها فلها الجنة" استناداً إلى الحديث النبوي: "من صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها مثل ثواب آسية بنت مزاحم".

وتسود فكرة تأثيم المرأة وتحميلها مسؤولية أي خلل في الأسرة والمجتمع، وأن الرجل هو أفضل مَن يُقوّم هذا الخلل ويضع حداً له. تقول (ل.ط) وهي أرملة تعيش في رام الله: "أنا دائماً ضد النسوان ... النسوان ظالمات الزلام (الرجال) ... كثير الناس فلتت ... النسوان هن اللي بيجبن (اللواتي يسببن) الفتنة ... أنت شايفة كيف بيكنن لابسات لبس بيكشش البدن (ترين كيف يلبسن ملابس تقشعر لها الأبدان)".

كما تقول (ص.ن) من حي الياسمينة بنابلس وعمرها ٤١ عاماً إن "المرأة لما يعطوها المجال تخرِّب". أما (أ.أ) من مخيم بلاطة وعمرها ٤٤ عاماً وهي غير متزوجة فترى أن النساء يستحققن الشدة حتى لو وصل الأمر للضرب فتقول: "هم (النساء) والله بستاهلوا ... وحسب الفتوى الشرعية هم (الرجال) عادلين". وعندما سُئلت عن السبب افترضت (أ.أ) التقصير من قبل النساء، لأنهن يُهملن أزواجهنّ في "الطلعات والنزلات وشمات الهوى".

كما تسود فكرة سيادة العاطفة على العقل عند جميع النساء اللواتي تمت مقابلتهن، وهي فكرة تُسوِّغُ ليس فقط فكرة تحمّل إساءة الزوج، بل أيضاً استخدام الشدة معهن. تقول أم أشرف من حي الياسمينة وعمرها ٤٨ عاماً: "هي بدها (تحتاج) شدة ... الرجل له حق الأولوية ... هو صاحب الرأي والشأن ... هي تظل امرأة".

وتقول (خ.س) من رام الله وعمرها ٤١ عاماً إنها تحب الفتاوى المتشددة، ولا تحب المرونة، وإن التشدد ضد المرأة سببه أن الدعاة "يحاولون أن تبذل النساء كل طاقة من أجل البيت والأولاد". أما أم فارس وعمرها ٤٤ عاماً من رام الله، فترى أن "الزوج لازم يكون راضي"، وتقول إن الفضائيات الدينية ساعدتها على إعطاء زوجها الدور الحقيقي له في البيت، وهو قيادة الأسرة بعد أن كانت تميل هي لأخذ هذا الدور: "كنت شديدة في بيتي صرت أعطي الرأي للزوج" لأن رأيه هو الذي يجب أن يسود في البيت.

وتساهم هذه الفضائيات في ترسيخ استعدادات النساء لتأبيد ما سمّاه بيير بورديو "أسطورة المؤنث الأبدي" و"الهيمنة الذكورية" التي لا تتحقق إلا بـ "تواطؤ" الطرف المهيمَن عليه "النساء"، وذلك من خلال تطبيق مقولات مبنية من وجهة نظر المهيمِنين على علاقات الهيمنة، فتجعلها، تبدو وكأنها طبيعية.

وهذا، حسب بورديو، يؤدي إلى "نوع من التبخيس الذاتي، لا بل التحقير الذاتي المنهج".[٩٩] وهذا يُفسر قبول النساء لهذه النظرة الدونية وتأبيد "الهيمنة الذكورية".

تتعايش النساء ذوات التعليم العالي (الجامعي)، وكذلك اللواتي يقل عمرهن عن ٤٠ عاماً ويتمتعن بشيء من المكانة المجتمعية أو الأسرية مع فكرة أفضلية الرجل على المرأة بشكل أقل صرامة وانتقاصاً للمرأة، لكن نظرتهنّ لا تتحلل من "الهيمنة الذكورية"، وتبقى تدور في محيط "تأبيد المؤنث" الذي يعني الضعف والسلبية. فتعتقد هؤلاء أن الرجل هو الجهة التي تحتوي المرأة وتقرر حسن المعاملة، ويرين أن حسن خلق الرجل إزاء المرأة في هذه الرؤية هو فضل منه وليس حقاً للمرأة، وهي الرؤية التي تُسوّقها الفضائيات الدينية كما رأينا. تقول (ز.ح) وعمرها ٣٠ عاماً من نابلس: "الرجال قوامون على النساء ... إحنا (نحن) نأخذها إنه الزلمة (الرجل) لازم يكون أحسن ... لأ (لا) يعني لازم يرأف بالمرأة ... الرجل لازم يعطف عليها ... يعني إنه قوام عليها بحنيته بـ(حنانه)". وتقول إنها أصبحت تعطي الأولوية لراحة الزوج: "من فترة كنت عصبية ... الدرس بيقول قديش بتكوني عصبية لأ (لا) حاولي هدّي من حالك لما يفوت الزوج".

وقد كان من بين النساء اللواتي تمت مقابلتهنّ مَن ينتقد "شدة بعض الدعاة" الذين ينظرون إلى المرأة نظرة دونية، ويكون رد فعلهنّ ترك الاستماع لهؤلاء الدعاة، هذا ما تفعله أم توفيق من بيت وزن بنابلس وعمرها ٦٢ عاماً التي تقول إنها "تحقد على هؤلاء" لأن "في حياتنا يوجد ظلم للمرأة". كما تنتقد دعواتهم بأن تكون المرأة "عبدة لزوجها

... ولازم تبقى مطيعة للآخر ... صح الوحدة بتطيعه (تطيعه) بس (لكن) إذا هو بقا يستعمل العنف معها ... يعني برضه هي إنسانة ... بصير (يحدث) تنافر ... مسكينات النسوان ... ضعاف". وتتفق معها أم عطا وعمرها ٤١ عاماً، و(ز.ح) وعمرها ٣٠ عاماً من مدينة نابلس، وتقاطعان الدعاة الذين يتشددون بشأن المرأة.

أما الواعظة أم خالد فتعترف بأن الرجال تربّوا على أنهم أفضل من النساء، وترى أن الدعاة والمشايخ غير بعيدين عن التأثر بهذه التربية، وأن الأزواج يستفيدون من هذه التربية للاستقواء على زوجاتهم، لذلك هم لا يريدون أن تعرف النساء حقوقهن كي لا يطالبن بها: "بالنسبة للشيوخ بصراحة بلاقيهم (أجدهم) منحازين للرجال ... الرجل متسلط لأنه وعي على الدنيا وشاف (رأى) أبوه متسلط على أمه". وهي تعتقد أن المرأة بإمكانها أخذ حقوقها بزيادة اطلاعها على الأمور الدينية وعدم الاكتفاء بما تبثه الفضائيات.

وتقول (ش.أ) وهي ممرضة متقاعدة تعيش في رام الله، إن تلك الفضائيات تشدد الخناق على المرأة، وإنها تشعر بالضيق عندما يتحدث الدعاة عن المرأة بشكل سلبي، لأن زوجها يتأثر بما يسمع. لكنها تقول: "مش كل شيء باخذه (لا آخذ كل شيء) من الشيخ ... أنا بجادل (أجادل)".

وتلجأ هؤلاء النساء اللواتي "لا يقتنعن بالنظرة الدونية المطلقة" للمرأة إلى عدم مشاهدة تلك البرامج، وعدم الاستماع للدعاة الذين يتحدثون عن أفضلية الرجل على المرأة. تقول (غ.ع) وعمرها ٢٥ عاماً من قرية سنجل قرب رام الله، إنها تنتقي ما يُشعرها بالراحة: "البرامج المتشددة بتخلي (تجعل) العلاقة مع الدين غير مريحة ... بدنا (نريد) حدا يشجعنا أكثر ... طرق تعطي (الشباب) أمل مش ترجعهم لورا (لا تُعيدهم للوراء)".

وتعتمد (م.إ) من الأمعري على ما حفظته من قرآن كي تقرر ما إذا كانت ستأخذ فتاوى متشددة بحق النساء أم لا: "في فتاوى ما بتمشي مع الآيات اللي أنا حافظتها". وكذلك الحال بالنسبة لـ (م.ن) من القدس

التي درست في الولايات المتحدة: "أنا لا أقبل أنه شيخ يقول إنه المرأة ما في إلها دور بالمجتمع وبصرش (لا يجوز أن) نتعلم لأنه طبعاً أنا ضد هادا الحكي ... ما بمشي وراهم بالعميان أنا متعلمة ومش صغيرة وأنا قارئة ومطلعة ... أنا بنتقي وبتعمق (أنا أنتقي وأتعمق) .. الإشي (الأمر) extreme (المتطرف) أنا برفضه (أرفضه)".

ج. زيادة الاهتمام بالآخرة:

تسعى النساء، من خلال مشاهدة الفضائيات، إلى تعزيز الاهتمام بالآخرة والزهد في الدنيا كما رأينا. وقد أثر ذلك بأن قلت قيمة ما يمكن أن تحققه النساء من إنجاز "دنيوي".

تقول (ي.ن) طالبة الكيمياء بجامعة بيرزيت إنها لِلَحظة كانت تشعر أنها تريد أن تترك أمور الدنيا تماماً: "كنت لمّا أسمع دروس أحس أني بديش (لا أريد) الدنيا خلص ... مرات مثلاً يكون عندي امتحانات وأحس حالي متضايقة وأسمع الدرس أترك الامتحان وأقول خلص بديش (لا أريد) أدرس ... بعدين سمعت الشيخ بحكي عن الزهد في الدنيا وحكا أوعوا أنه تتركوا الدنيا".

لكن القنوات الدينية ساهمت في حث بعض النساء على الاهتمام بالآخرة على حساب الدنيا، من خلال تذكير القنوات لهن دائماً بالآخرة، وبأن "الدنيا فانية"، الأمر الذي أدى إلى الهروب من الواقع الذي يعشن فيه وخلق لديهن شيئاً من الرضا ودفعهن إلى القبول بتنازلات عن حقوقهن أو طموحهن. ويُلاحظ أن الزهد بالدنيا عند هؤلاء النساء ليس خياراً، بل هو أمر واقع يحتاج تغييره إلى جهد منهنّ، وبخاصة أولئك اللواتي لا يعملن ويعشن ظروفاً اقتصادية صعبة، ولا يوجد في حياتهن أفق لتغيير واقعهن. فهن يستجبن لدعوة الدعاة لهن إلى عدم محاولة تغيير هذا الواقع لأنه "امتحان من الله" يكون النجاح فيه بـ "الصبر" و"احتساب الأجر"، وبخاصة إذا كنّ يعانين من ظلم الزوج أو الأهل.

تقول (ف.خ) وعمرها ٦٥ عاماً من مخيم شعفاط بالقدس إن ابنتها "كانت طايعة (طائعة) زوجها لدرجة مش طبيعية، كانت مستعدة تفديه بروحها، راح تزوج عليها ومش عادل وظالمها". تنصح (ف.خ) ابنتها وكل من يُعذبن من أزواجهنّ أن يدعين الله لهدايته: "اللي بتعذبوا من أزواجهم يدعوا أكثر شيء يدعوا الله لهداية أزواجهم تلجأ الوحدة (المرأة) للقرآن تلجأ لسورة البقرة تلجأ للاستغفار".

أما (ع.أ) من الأمعري وعمرها ٤٣ عاماً، فتقول إن الفضائيات "تملي قلبك بالله وتقوي صلتك بالله وتحسي إنه هذه الدنيا زايلة (زائلة) ... إذا كنتِ مخطئة مع زوجك بتتصالحوا بتفهم الأشياء أكثر".

على النقيض من ذلك، يتخذ مفهوم العمل للآخرة عند النساء الأقل عُمراً معنى آخر لا يخلو من العمل للدنيا أيضاً، ويقل بالتالي مفهوم الاهتمام بالآخرة بمعنى "الانعزال عن الدنيا" كلما صغر عُمر المشاهدات. بل إن غالبية المشاهدات الشابات يبحثن عن ما يُعينهن على تغيير آراء المحيطين بهن إزاء الدين.

تقول (و.ر) وهي طالبة لغة إنجليزية في جامعة بيرزيت من المزرعة الشرقية برام الله: "أتمنى أن تعينني الفضائيات الدينية على الناس ... أثرت على طريقة نقاشي والحوار اللي بدي أخوضه مع الناس كيف أناقش. كنت زمان أناقش لأني أنا مقتنعة بالشيء وبديش (لا أريد) حدا يناقشني فيه، فلما أناقش أغضب بدون ما يكون معي هالأدلة الكافية ... البرامج فيها وجهات نظر خلتني أعرف طريقة للحوار، طريقة حواري مع الناس، وخلتني أقرأ ... كان عندي طابع ديني في المدرسة بعد متابعة القنوات الدينية ... زاد الالتزام، زاد التعمق في كتير أشياء من اهتماماتي صارت تنصب في الجانب الديني".

وتتقبل النساء اللواتي يزداد اهتمامهنّ بالآخرة أسلوب الترهيب أكثر من أولئك اللواتي تحتل الدنيا مساحة في حياتهنّ، إذ يكون "الخوف من العذاب" هو دافعهن للتمسك بالدين والثبات عليه، لكن هذا الحال لا

ينطبق على أولادهن وبناتهن الأصغر عمراً: تقول (ش.أ) إن مضمون برامج بعض الفضائيات "كله ترهيب ... الأطفال بيهربوا (يهربون) وبيصيروا يقولوا (يقولون) كل شيء حرام".

تقول (و.ر) من المزرعة الشرقية برام الله وعمرها ٢١ عاماً: "البرامج اللي بيكون موضوعها ترهيب وليس ترغيب كثير بتوترني في الحياة".

د. الراحة النفسية والرضا:

تختلف الراحة النفسية التي تُحققها مشاهدة الفضائيات الدينية من امرأة إلى أخرى باختلاف العُمر ومستوى التعليم. فالنساء اللواتي تزيد أعمارهن على أربعين عاماً، واللواتي لم ينلنَ قدراً من التعليم يشعرن بعجز أمام واقع أليم يعشنه على المستوى الاقتصادي من فقر وضيق في الموارد، أو على المستوى الأسري من تهميش أو إساءة من الزوج أو الأهل وغيرهم، أو حزن بسبب فقدان شخص عزيز. ويساعدهن الدين، الذي قالت النساء إنه يتقوى بمتابعة الفضائيات، على تحمل هذا الواقع والتكيف مع عجزهن عن تغييره. تقول أم توفيق وعمرها ٦٢ عاماً من قرية بيت وزن قرب نابلس، وهي التي افتقدت ابنة لها في عملية ضد الاحتلال الإسرائيلي عن حالتها بعد إقبالها على مشاهدة الفضائيات: "نفسيتي ارتاحت .. اتبعت صلاتي".

أما أم أشرف وعمرها ٤٨ عاماً، فتقول إن حياتها بعد القنوات الدينية اختلفت للأفضل: "كان يكون في ملل وإحباط من الحياة ... لما بتسمعي برنامج الفضائيات فبيعبي (يملأ) الفراغ اللي عندك بيرفع (يرفع) معنوياتك ... بتحسي (تشعرين) براحة نفسية داخلية برتاح (أرتاح)".

ويزداد تأثير الدين في حياة هؤلاء النساء، وبالتالي إقبالهن على الفضائيات الدينية لتعميقه بازدياد "مرارة التجربة" التي يخبو أمامها تأثير مستوى التعليم. كما هو الحال مع (ش.أ) عمرها ٥٠ عاماً من

رام الله، التي كانت تعمل ممرضة في وزارة الصحة، فقالت إنها رجعت إلى الدين أكثر عندما توفي ابنها وهو شاب فكان "التقرب إلى الله" هو السلوى لها في هذه المصيبة، تقول: "قديش بصح لي (كلما أتيحت لي فرصة) أهدي لابني ركعتين ثلاث ... الأم بدها (تريد) تنقذ ابنها ... هذا خلاني (جعلني) أسلّم وأومن إنه فش (لا يوجد) غير رب العالمين ... الواحد في شبابه كان ماخذ (يأخذ) الحياة هيك (هكذا) طيش إنها بس (فقط) لعب ولهو لما تحل مصيبة بتردعك (تردعك)".

تتخذ الراحة النفسية معنى آخر يتمثل بالقناعة بخيار التدين، وهو ما لوحظ عند الفتيات اللائي يدرسن في الجامعات من مختلف المحافظات. إذ ساعدتهنّ الفضائيات الدينية على التمسك بخيار التدين في المجتمع الجامعي "المنفتح". ويظهر هنا دور "التجربة" التي تقوي أو تُضعف الحاجة للإقبال على الدين ومشاهدة الفضائيات الدينية. إذ يُلاحظ هنا اختلاف طبيعة التجارب التي لم تكن "مريرة" لدى النساء الأصغر سناً.

كما تقول (ي.ن) طالبة الكيمياء بجامعة بيرزيت، التي تعيد بث حلقات من البرامج الدينية في مصلى الطالبات، إن فتاة غير محجبة أصبحت تأتي طلباً للراحة النفسية من المشاكل الشخصية التي تعاني منها، وتحضر معهنّ الدروس، وتضيف عن أثر الفضائيات: "في ناس حتى لو ما بتحسي إنهم تغيروا بس برتاحوا (يرتاحون) نفسياً بصيروا مش (يصبحون غير) متشائمين ... بحسوا في قوة تانية (أخرى) أكبر منهم بلجأوا (يلجئون) له".

وتقول (ز.ح) وعمرها ٢٥ عاماً من نابلس وهي حديثة التخرج من جامعة النجاح، تُشعرها الفضائيات الدينية بالرضا، وترتاح من الإحباط الذي سببته لها البطالة بعد فشلها مدة عام كامل تقريباً في الحصول على فرصة عمل جيدة: "صرت ما أحزن على شيء.. أي شيء الرزق دايماً بإيد (دائماً بيد) الله نصيبك راح تأخذه، عاجلاً أم آجلاً، سواء من الرزق أو أي شيء، كما أن الرزق دائماً مكتوب أنه .. أي يوم.. أي سنة لازم (لا بد) يجيك (يأتيك) نصيبك ... كنت أسمع أغاني بطلت".

تقول (ن.ر) وهي طالبة جامعية من مخيم الأمعري: "الواحد بحس حاله بحاجة لروحانيات ... مرات الواحد بيكون متضايق من الحياة وهموم الدنيا فالواحد يلاقي اللي بدو إياه في برنامج. هذا البرنامج كان يساعده كيف يتعامل مع مشكلاته لما بنحضر دروس بنتعلم حب التعلم".

كذلك الحال بالنسبة لـ (م.و) التي تُذكرها الفضائيات الدينية بالعبادات وتجعل جوّ بيتها دينياً: "المهم أنه لما أدخل على بيتي يكون جو بيت إيماني ما بدي يكون جو بيتي أغاني وأفلام عربية وفيديو كليبس، بحاول إنه أفتح على القرآن آيات - المجد... بس كمان لما أكون قاعدة قدام التلفزيون ... مرات بكون حاسة أنه أبعدت عن ربنا بحس أنه بدي أرتدع بدي جرعة catch up، بدي جو ديني، بدي أكون أقرب لربنا في حياتي المشغولة بلتهي عن ربنا، لما أستمع لهذه الدروس ببلش قراءتي بالقرآن بلاقي حالي بزيد".

تقول (ي.ن) من الخليل: "في الخليل جو محافظين كثير لما أجيت على الجامعة شفت الناس كتير كتير منفتحين، استغربت هون واجهت المشكلة ... كنت أحس أنه لازم أضل مسكرة (أغلق الباب) على حالي وأسمع فيهم عشان ما أتأثرش (كي لا أتأثر) بحسهم بيعطوا شحنة كبيرة عشان أقدر ما أتأثرش ... الواحد بتغلب بس المفروض يصبر".

أما (و.ر) طالبة اللغة الإنجليزية في جامعة بيرزيت، فتشعر بالراحة عندما تجد في الفضائيات ما يُثني على عملها": "الأشياء اللي بتريحني مثلاً لما نحكي عن أشياء أنا بعملها بحياتي وأفتح التلفزيون ألاقيهم بيثنوا عليها أو بيشجعوها ... لما بفتح على برنامج بحكي عن الجنة عن الأشياء الحلوة مثلاً بتفرق عن البرنامج اللي تحكي عن يوم القيامة".

كما تساعد الفضائيات الدينية النساء من كل الأعمار والفئات على التفاؤل الذي تبثه الفضائيات الدينية عن أمجاد "الحكم الإسلامي"،

الذي ثبّت لدى جميع النساء القناعة بأن "العودة إلى الدين" و"الحكم بالإسلام" هو السبيل للعيش من جديد حياة تشبه تلك التي كانت في "ماض مُشرق"، وانعكس ذلك على رؤيتهن للواقع. إذ ترسخت القناعة لديهنّ أن الصراع مع الإسرائيليين هو بالأساس ديني. ترى أم توفيق وهي من بيت وزن وعمرها ٦٢ عاماً أن "الدفاع عن الوطن بدايته من الدين وهم (الإسرائيليون) أعداء دين قبل وطن".

السلوك ومظاهر التدين

صَبَغت الفضائيات الدينية سلوك النساء ومظهرهن الخارجي بصبغة دينية. فإضافة إلى الأفكار والاعتقاد والقناعات الدينية التي ترسّخت وما يرافقها من ممارسة العبادات والنوافل، انعكس الدين على التفاصيل الصغيرة في الحياة، كالعبارات الدينية في الاستئذان والترحيب والشكر والمجاملة ونغمات الهواتف النقالة ومتابعة الفضائيات الدينية والانضمام إلى "المجتمعات الدينية الصغيرة" في المساجد.

كما أصبح السلوك والمظهر الديني مقياساً لتحديد المكانة في تلك المجتمعات شبه المغلقة، التي أصبحت النساء المتدينات يُشكلنها في الأحياء التي يسكنّ بها. ويُعطى السلوك والمظهر، في وسط هؤلاء، أهمية أكثر من تلك المعطاة للفكر والاعتقاد. فقد تُجبر الأم ابنتها على ارتداء الحجاب أو الجلباب تجنباً لما "قد يقوله الناس" عن تلك الفتاة التي اعتادت أمها ارتياد المساجد ويُطلق إخوتها لحاهم تديناً. وقد تبذل أخرى كل ما ادّخرته من مال كي تشارك الأخريات من "المجتمع الديني" في رحلة عُمرة، رغم فقرها وضيق حال أُسرتها.

كما اتخذت العبادات طابعاً جماعياً تتنافس النساء على الالتزام بها والحرص عليها، ومنها الصلوات الخمس في المسجد، والرحلات الجماعية للعمرة، والزيارة الجماعية للمرضى، والمشاركة في المآتم والأفراح. ويمكن حصر التغييرات التي ذكرت النساء إنها طرأت على سلوكهن بعد مداومتهن على مشاهدة الفضائيات في ما يلي:

أ. تعزيز المكانة الاجتماعية:

ذكرت النساء، بشكل مباشر أو غير مباشر، كما ذكرنا سابقاً، أن القنوات الدينية تساعدهنّ على تعزيز مكانتهنّ في المجتمع، وبخاصة تلك المجتمعات الصغيرة التي تكونت في المساجد والحارات والأحياء" لأنها تزودهن بـ "العلم في الدين" الذي يُمكّنهن من أن يبرزن من خلاله.

وقد تمكنت الكثير من النساء المهمشات، بفضل الفضائيات، من تحقيق نوع من المكانة.

ويلعب هنا مستوى التعليم، وليس العُمر، الدور الأبرز في مدى استفادة هؤلاء النساء من الفضائيات الدينية في "تعميق المعرفة". إذ تزداد أهمية الدور الذي تلعبه الفضائيات الدينية في تعميق هذه المعرفة كلما تدنى مستوى التعليم للنساء.

تقول (ل. ط) من رام الله وعمرها ٥٦ عاماً ولم تصل في تعليمها إلى الثانوية العامة، إنها كانت تخجل من قلة معلوماتها الدينية: "لما بقوا يسألوا أسئلة في مسجد عبد الناصر ... ما بقيتش (لم أكن) أعرف أجاوب"، وقد أحدثت الفضائيات الدينية فرقاً في معرفتها الدينية فلم تعد تخجل من وجودها بين نساء المسجد. أما أم أشرف من حي الياسمينة بنابلس وعمرها ٤٨ عاماً فتقول إن معرفتها بأمور الدين تطورت بعد مداومتها على متابعة الفضائيات الدينية: "لو أكون في جلسة نسائية بفيد (أفيد) وبنصح (أنصح) الستات (السيدات)".

وقد كانت فئة "الواعظات" ذوات التعليم المتدني هي الأكثر اعتماداً على الفضائيات وتوظيفها في تعزيز مكانتهن الاجتماعية التي ترسخت بفضل نشاطهن الديني والاجتماعي الذي غالباً ما يتمثل في إعطاء دروس دينية وتحفيظ القرآن في المساجد والبيوت.

وقد كانت الواعظة (ف.ح) التي تعيش في مخيم بلاطة هي الأقوى شخصية والأكثر تأثيراً فيمن تمت مقابلتهن من النساء. فبمجرد

دخول مخيم بلاطة والسؤال عنها يسارع الكبار والصغار إلى إرشاد الزوار إلى بيتها. تتولى (ف.ح) تحفيظ القرآن لنساء المخيم، لكنها أيضاً تقوم بالإصلاح بين الأزواج وتغسيل الميتات وتكفينهن وتُلقي مواعظها الدينية في المناسبات، وتسعى إلى تغيير سلوك أهل المخيم، وبخاصة النساء فيه، وتوجيههم نحو الدين. وتظهر شخصيتها القيادية ومكانتها في مخيم بلاطة من كثرة المُلتفّات حولها والقاصدات بيتها لأخذ الدروس والمواعظ وحل المشاكل. وقد ذكرت (ف.ح) في المقابلة التي أُجريت معها لهذه الدراسة أن بيتها غص برجال المخيم قبل نسائه لمّا جاؤوا لعيادتها عندما مرضت ذات مرة، في إشارة منها إلى مكانتها في المجتمع المحيط بها، وهي مكانة تستمدها من "قوة دينها وإيمانها"، و"لأن المجتمع يريد الدين" كما تقول.

أما (أ.ع) من السموع بالخليل، فتقول إنها أصبحت تتمتع "بهيبة" واحترام بين الناس في محيطها. وهي لا تتردد عن طرق باب أي بيت لتلقي مواعظها ودروسها على نسائه إذا ما لاحظت ما "يشوب سلوكهنّ". وذكرت أن الفتيات اللواتي لا يتبعن نصيحتها بشأن ضرورة احتشامهن في اللباس، لا يتجرأن على النظر في وجهها إذا ما رأينها صدفة بعد ذلك.

يُذكر أن هذه الواعظة أمّية وتلقت معرفتها الدينية من واعظات أخريات ومن الفضائيات الدينية فقط، والفتيات اللائي تعظهنّ، حسبما أشارت، هنّ من طالبات الجامعات المحجبات أصلاً، لكن (أ.ع) تنصحهنّ بلبس الجلباب.

كذلك الحال بالنسبة لـ (ف.خ) من القدس وعمرها ٦٥ عاماً، التي لم تصل إلى المرحلة الثانوية، أصبحت تُحفظ النساء القرآن في المساجد، وتأتي الكثيرات لاستفتائها بأمور حياتهن. وتقول إن الفضل في "الاحترام" الذي تتمتع به يعود إلى الفضائيات الدينية.

(م.إ) أيضاً واعظة في الأمعري، تعززت مكانتها الاجتماعية بعد أن حفظت القرآن وأصبحت تتابع القنوات الدينية وهي حاصلة على شهادة

الثانوية العامة: "الناس صاروا ييجوا (يأتون) عندي يأخذوا الفتوى ... القنوات الدينية بتساعد في الفتاوى".

وقد تأخذ الواعظات أجراً من وزارة الأوقاف الفلسطينية، وقد يفعلن ذلك تطوعاً. وقد لجأت وزارة الأوقاف الفلسطينية إلى تقييد مسألة الوعظ هذه من خلال قصر عمل الواعظات في المساجد على مَن تأذن لهنّ الوزارة بالعمل. وتشترط الوزارة أن تكون الواعظة حاملة شهادة جامعية أولى على الأقل في أحد الفروع الدينية. كما تمر الواعظة التي يُجاز لها العمل بالمساجد بشروط التعيين الذي يخضع له كل المتقدمين للوظائف الحكومية في السلطة الوطنية الفلسطينية،[١٠٠] ويشمل الفحص الأمني الذي يتم من خلاله التأكد من "السلامة الأمنية".[١٠١] لكنْ مِن الواعظات مَن يمارسن الوعظ في البيوت، أغلبهن لا يمتلكن شهادات جامعية، كما هو الحال مع (أ.ع) في السموع، و(ف.خ) في الخليل، و(م.إ) من الأمعري.

ولا تمارس الوزارة رقابة على مضمون الفتاوى التي يُقدمنها للنساء في المساجد، وتقتصر أشكال المتابع على أوقات الدوام والإجازات، الأمر الذي يُتيح للواعظات المجال لاختيار أحكام متشددة يعظن بها النساء تُستقى معظمها من الفضائيات الدينية السلفية كما هو الحال مع الواعظات (أ.ع) من السموع، و(م.إ) من الأمعري، و(ف.ح) من بلاطة، وأم خالد من نابلس.

وتقول هؤلاء الواعظات إنهن يعتمدن على القنوات الدينية ليزددن معرفة بأمور الدين، وتساعدهن هذه المعرفة على إعطاء الفتاوى المختلفة، وبالتالي تمكينهن من ممارسة الوعظ. ويستخدمن ما يتعلمنه ليُجبن عن أسئلة النساء اللواتي يلجأن لهن في أمورهن الحياتية. ويزداد اعتماد الواعظات على الفضائيات الدينية كلما قل مستوى تعليمهن. بينما تستخدم الواعظات الحائزات على شهادات في الدين الإسلامي، أو أيٍّ من العلوم الشرعية الأخرى، الكتب إلى جانب تلك الفضائيات.

تقول الواعظة أم خالد من نابلس التي تلقت العلم الديني من واعظات أخريات ومن الفضائيات الدينية، إن أهمية متابعة الفضائيات الدينية بالنسبة لها تكمن في: "زيادة ثقافة وزيادة معلومات حتى لو سُئلت أي سؤال أقدر أجاوب عليه".

أما الواعظة (ف.ح) من مخيم بلاطة، فتنصح النساء في دروسها بمتابعة الفضائيات الدينية؛ لأن "المرأة مش مكلفة تطلع من بيتها ... بتقدر توخذ (تأخذ) كل شيء ... يعني ما خلوش للوعظ والإرشاد من كل نواحي اللي بتختص بالمرأة (تناولوا الوعظ من كل النواحي)".

أما (ا.غ) وهي مُدرّسة تربية إسلامية في إحدى مدارس الخليل، وعمرها ٤٢ عاماً فتقول إنها تفيد من أسلوب الدعاة، وإن ذلك ينعكس على أسلوبها في التدريس وتقديم المعلومة. وذكرت أنها تقلد عمرو خالد على وجه الخصوص.

يُذكر أن جميع الواعظات اللواتي تمت مقابلتهن يُتابعن القنوات السلفية المتشددة كالناس، والرحمة، والحكمة، والمجد. اثنتان منهن ترتديان النقاب.

لا يقل دور "المعرفة الدينية" التي تزداد بازدياد متابعة الفضائيات الدينية أهمية لدى النساء الأصغر سناً. إذ تُعزز مُتابعات الفضائيات الدينية من طالبات الجامعات مكانتهنّ أيضاً بفضل درجَة التدين التي تحققها لهنّ الفضائيات الدينية، فبالنسبة لـ (و.ر) الطالبة في قسم اللغة الإنجليزية بجامعة بيرزيت، أثرت الفضائيات على طريقتها بالحوار والنقاش، تقول: "خلتني أعرف طريقة في حواري مع الناس". أما (ي.ن) طالبة الكيمياء في جامعة بيرزيت، فقد نجحت في استقطاب الكثير من الطالبات في مصلى الجامعة من خلال البرامج الدينية التي تعيد عرضها على الطالبات.

وبذلك، يُلاحظ هنا أن جميع النساء اللواتي أجريت معهن مقابلات عززن المكانة الاجتماعية التي يبحثن عنها. لكن هذه المكانة لا تؤدي إلى

أي إنتاج فكري أو اقتصادي أو علمي لهنّ، ولم تقدهن إلى المبادرة إلى أي شكل من أشكال التنمية أو التغيير للوضع القائم للمرأة. فالإنتاج الفكري والعلمي والاقتصادي تتضاءل أهميته، وبالتالي تأثيره أمام المكانة الدينية.

ب. الالتزام بالحجاب:

الحجاب هو أكثر علامات الاستجابة لما يُبث على الفضائيات الدينية، وأكثر مظاهر التدين تأثراً بها حسبما تذكر معظم النساء اللواتي تمت مقابلتهن، وهو أول ما يُشار إليه عندما يتحدثن عن "التوبة" و"الالتزام" و"التدين" و"الآثام". حتى أولئك اللواتي نشأن في بيئة متديّنة، فإنهنّ يذكرن الحجاب كإشارة إلى أول ما يمكن أن تتحلى به المرأة المتدينة التي تربت في بيئة متدينة.

تُخصص القنوات الدينية مساحة واسعة من برامجها للحديث عن الحجاب وتُوليه أهمية كبرى كما أسلفنا، لذلك تعزز تلك الفضائيات أهمية ارتداء الحجاب في ذهن النساء اللواتي يشاهدنها وتُعظّم عاقبة وعقوبة من تتركه. ولم تُشر أيٌّ من النساء اللواتي تمت مقابلتهنّ إلى أي نوع من الإكراه مورس عليهنّ كي يرتدينه. لكن قرار ارتداء الحجاب يُمثّل أيضاً استجابة لرغبة المجتمع الذي يُعطي أهمية كبيرة للحجاب وتحصل النساء المحجبات فيه على تقبل الآخرين لأنهنّ، بارتدائه، يمتثلن لقواعد المجتمع وتوقعاته. وتُسمى رغبة المجتمع هذه بـ "الجماعة المرجعية" التي تتكون، حسب كارفينكل، من معاني وتصورات تُشكل قاعدة معرفية وحساً عاماً يصبح إطاراً مرجعياً للأعضاء في تصرفاتهم وقراراتهم.[١٠٢]

تقول (أ.ن) من الخليل: "حكي العالم عن الحجاب خلاه (جعله) حاجة من حاجاتي". لم يكن بين النساء اللواتي تمت مقابلتهن مَن ارتدت الحجاب بسبب القنوات الدينية إلا اثنتين؛ إحداهما (م.و) من القدس وهي مديرة مشاريع في إحدى المنظمات الأهلية: "أول مراحلي كانت لما كنت بشكل عام بعيدة عن الدين وما كنتش محجبة، عمرو خالد هو اللي

(الذي) كان له الدور الأكبر في مخاطبتي وإقناعي بالحجاب، كنت حاطة (كنت قد وضعت) الفكرة في بالي كشيء ممكن أسويه بالمستقبل ... عمرو خالد شرح لي تأثير هذه القطعة اللي (التي) على راسي"، وكذلك الحال بالنسبة لـ (أ.ن) من الخليل، وهي طالبة إعلام بجامعة بيرزيت: "القنوات الدينية خوفتني من قصة الحجاب كثير حسستني إني ناقصة ... بتعملي هيك وهيك (كذا وكذا) طب كملي الشيء اللي بتعمليه (الذي تفعلينه) وتحجبي". وتقول إنها كانت تتابع القنوات الدينية مع العائلة، وإنها اقتنعت بالحجاب لتكون مثل الفتيات في البيئة المحيطة بها: "حكي العالم عن الحجاب خلاه حاجة من حاجاتي لما تيجي تحكي لصاحباتي بالمدرسة بحكوا عن الموضوع كتير بتصيري تحسي أنه أنتِ غير عنهم، فتلجئي للقنوات الدينية تقنعني أنه هادا اللي بعمله مزبوط ... خوف أسلوب الخوف والتأثير النفسي".

وذكرت جميع النساء الأخريات أنهنّ يعرفن أو سمعن عن نساء تحجبن بعد استماعهنّ لأحد الدعاة. وقد تكرر ذكر عمرو خالد الذي تناول الحجاب بطريقة "رغبت الكثيرات بارتدائه".

أبدت النساء اللواتي ارتدين الحجاب بعد "التوبة" "أسفهنّ" و"ندمهنّ" على تلك الأيام التي لم يكنّ فيها محجبات، وأصبحن يحرصن على أن ترتديه بناتهن. ذكرت أم توفيق وعمرها ٦٢ عاماً من قرية بيت وزن قرب نابلس، الحجاب على أنه أولى خطوات اهتدائها: "احنا (نحن) كنا في الزمانات (في الماضي) ... نلبس على الموديل، نلبس قصير ونطلع قدام أي حدا بشعرنا ... إحنا ما خلينا شيء إلا لبسناه، لبسنا ميني جوب، ميكرو جوب، شارلستون، بقينا الأمور عادية ... هالأيام بناتي ما بطلعن هيك (لا يخرجن بدون حجاب) الدروس الدينية هي اللي (التي) فتّحت الناس".

تقول أم أشرف وعمرها ٤٨ عاماً من نابلس: "من الطفولة لحد الشباب .. الواحد بقى يلبس قصير صرنا نلبس طويل". تقول (أ.أ) من بلاطة وعمرها ٤٤ عاماً: "بقينا نطلع بشعورنا بطلنا". أما (ش.أ) من رام الله

وعمرها ٥٠ عاماً فتقول إنها ارتدت الحجاب إثر وفاة ابنها وهو شاب: "كنت أحط (أضع) ماكياج ... كنت فش حدا (لا يوجد مَن) يسبقني في اللبس والماكياج ... الله غفر لنا".

وعلى الرغم من أن الحجاب ليس نتيجة مباشرة لمشاهدة الفضائيات، لكن جميع النساء يذكرن فضل الفضائيات في تثبيتهنّ على الحجاب أو تغييره إلى النمط الأكثر تشدداً. ومن هؤلاء (ن.ش) وهي مُدرّسة في مخيم بلاطة وعمرها ٤٠ عاماً، تقول إنها كانت تُغطي شعرها، لكن الفضائيات الدينية علّمتها تغطية المزيد من أجزاء الجسم كالأقدام، والامتناع عن أشكال الزينة كافة: "كنا نخرج بدون جرابات (جوارب) .. كنا نخرج حاطين نتفة (القليل) من الكحلة أو ماسكارا ... نلبس مفصل ... اليوم الوحدة (المرأة) عرفنا إنه جمالها لزوجها مش (ليس) للشارع ... عرفنا إنه لازم يكون فضفاض يعني المرأة لازم (يجب) تغطي رجليها (أرجلها)".

أما (خ. س) من رام الله وعمرها ٤١ عاماً وأم لأربعة أبناء، فقالت إنها أصبحت ترتدي الحجاب الكامل (الجلباب) بعد مشاهدة الفضائيات: "كنت ألبس تنورة أو بنطلون لكن الآن جلباب ... صرت أهدي الناس وأنصح اللي مش متحجبات (غير المحجبات)".

ويُلاحظ أن نمط الحجاب يزداد تشدداً لدى النساء اللواتي أجرينا معهن مقابلات في المخيمات والمدن فيما يقل التشدد في القرى، وكذلك أولئك اللواتي تحجبن بعد "توبة". وقد أبدت النساء في مدينتَيْ الخليل ونابلس تشدداً أكثر مما أبدته النساء في رام الله، إذ لوحظ أن طبيعة المجتمع في تلك المدينتين أكثر محافظة وانغلاقاً، وأكثر تجانساً في البيئة والظروف الاقتصادية. كما يزداد التشدد في نمط الحجاب لدى النساء المتقدمات بالعمر واللواتي يستمع معظمهن إلى الدعاة السلفيين الذين يرون أن الحجاب يتمثل بوجوب النقاب، ولا يقبلون أي شكل آخر له.

الواعظة أم خالد من نابلس وعمرها ٥٥ عاماً ترتدي نقاباً من خمس طبقات، وقد انتقدت بشدة أحد الدعاة على الفضائيات لأنه أبدى تساهلاً

بموضوع الحجاب فتقول مستنكرة: "هادا (هذا) الشيخ طلع على إحدى الفضائيات وقال لو لبست الوحدة (المرأة) بنطلون وجاكيت لعند الركبة جائز ولو لبست تنورة طويلة مع الجاكيت جائز".

الجلباب هو النمط السائد للحجاب عند هؤلاء النساء، ولديهنّ ميل لتقبل النقاب. تقول (ف.ع) وهي ربة منزل من دورا وعمرها ٤٧ عاماً إنها لو سمعت عن النقاب وهي أصغر عمراً للبسته: "بيقولوا (يقولون) النقاب واجب وفرض. بيحثوا (يحثون) على النقاب أكثر ... لو لحقت وأنا في عز صباي للبست النقاب".

وتشير المقابلات إلى أن النساء اللواتي تقل أعمارهن عن أربعين عاماً وتربين في أُسر دينية لم يتأثرن بالفضائيات كثيراً في موضوع الحجاب لأنهن يرتدين الجلابيب منذ الصغر، لكن الفضائيات الدينية تعزز قناعاتهن بالحجاب فقط وتجعلهنّ أكثر حرصاً على متابعة التفاصيل الدقيقة في كيفيته، وكذلك أكثر حرصاً على الامتناع عن أشكال الزينة الأخرى كافة.

وبهذا، فإن الفضائيات الدينية تعزز لديهن القناعة بصحة خيارهن الذي يتماشى مع "مرجعية الجماعة".

تقول (إ.أ) وهي طالبة إعلام بجامعة بيرزيت من رام الله: "أنا تربيت تربية دينية، هاي القنوات أضافت بعض الأشياء اللي بتكمل (تُكمل)، بس (لكن) ما غيرت فيّ شغلات (أموراً) ... سمعت بعض البنات اللي مش محجبات تحجبوا لما سمعوا لعمرو خالد". وكذلك الحال بالنسبة لـ (ن.ر) وهي طالبة في كلية تربوية برام الله: "التزمت بالجلباب بسابع ثامن" أي في صف سابع أو ثامن، وقد شجعتها القنوات أن تلتزم به وتكون "قدوة للفتاة المسلمة ... فإحنا كثير حريصين على لبسنا".

وعلى عكس النساء المتقدمات في العمر، لا تبحث الشابات عن التشدد في الحجاب ويبحثن عن الفتاوى الأكثر يُسراً والأقل صرامة حتى لو

كنّ مستمعات دائمات لدعاة متشددين بشأن الحجاب. تقول (غ.ع) وهي خريجة محاسبة من جامعة بيرزيت وتسكن قرية سنجل في رام الله: "في شيخ أفتى لوحدة (امرأة) اتصلت عليه من دولة أوروبية أنها ما بتقدر (تستطيع أن) تلبس جلباب قال لها معليش (لا بأس) المهم طويل وساتر ... هادا خلاني أكثر flexible (هذا جعلني أكثر مرونة) بموضوع اللباس، وصرت أنوّع".

وقد انتقدت الفتيات صغيرات السن حتى أولئك اللواتي نشأن في بيئة دينية، انتقدن تشدد بعض الدعاة على الفضائيات الدينية في تفاصيل الحجاب. ترى (أ.أ) أن "قضايا ألوان المناديل والمصافحة قضايا جدلية فيها خلاف" لذلك لا ترى مبرراً بالتركيز عليها أكثر مما ينبغي.

وتقول (ن.ر) من مخيم الأمعري إن التشدد في مسألة النقاب من ثقافة المجتمعات الخليجية وليس مجتمعنا: "في السعودية متعصبين لشغلة الخمار ... يعني هي أنا مثلاً في جامعتي في شباب بس كل واحد ملتزم حدوده ... لما أسمع شغلات (أموراً) عن الخمار بضل (أظل) أعترض ... الحجاب عندنا منديل وجلباب هم يمكن عندهم بالسعودية متشددين".

وكذلك كان موقف (و.ر) من المزرعة الشرقية التي تربيت على ارتداء الجلباب: "الشيخ محمد حسان أنا بجله جداً ... لكن عن النقاب كان يجزم أنه لازم لازم لازم ما بحب حدا ييجي يفرض شيء مختَلف فيه وبأدلته، في مجال الرد عليها".

وقد ساعدت الفضائيات (و.ر) الطالبة في قسم اللغة الإنجليزية بجامعة بيرزيت على الدفاع عن الحجاب وإثبات وجوبه: "في برنامج الوسطية لطارق سويدان مثلاً مرة طُرح موضوع الحجاب عادة أم عبادة، كنت أنا موقنة بشرعيته بس كنت حابة يكون معي أدلة، يعني لما أناقش حدا ييجي يحكي لي إنه الحجاب فقط عادة وانتهت بزمن الرسول، لما أناقشه لازم أناقشه على بينة مش (ليس) لأني متعاطفة مع الحجاب".

ومن الواضح أن التشدد بالحجاب آخذ بالانتشار، إذ يُشير استطلاع أجراه مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان أن ٢٣,٥٪ من الفلسطينيين في الضفة والقطاع يؤيدون فرض النقاب على النساء.[١٠٣]

وتشير المقابلات إلى أن النظرة إلى الحجاب كمقياس لصلاح المرأة وحشمتها أدى بهنّ إلى الاهتمام بالمظهر والابتعاد عن الجوهر. تقول الواعظة أم خالد من نابلس وعمرها ٥٥ عاماً إنها تطلب من اللواتي لا يتحجبن برفق ولين أن يضعن حجاباً على رأسهن فقط. تقول: "تحط شو ما تحط المهم تغطي راسها". كما تقود الفضائيات الدينية بعض النساء اللواتي يرتدين الحجاب إلى بُغض أو على الأقل التوجس من النساء اللواتي لا يرتدين الحجاب حتى لو كنّ على قدر عالٍ من الأخلاق والإيمان.

وتُفسر هذه النظرة للحجاب ظاهرة انتشار الحجاب غير المحتشم لدى الكثير من النساء، وهو حجاب يتمثل بغطاء الرأس يُجنب مُرتدياته الرفض الاجتماعي، لكنه في الوقت ذاته يعكس عجز المرأة أمام حالة من عدم الانسجام بيت التشدد الذي تخلقه القنوات الدينية ورجال الدين وانتشار التدين في المجتمع، وثقافة الإباحية التي تبثها فضائيات أخرى.[١٠٤]

ويُنذر التشدد بالحجاب والاحتجاب عن التعرض مباشرة للشمس والهواء الذي يدعو إليه دعاة الفضائيات باستفحال أمراض الكساح وتلين العظام. إذ يشير تقرير المراجعة الإقليمي للشرق الأوسط وإفريقيا للعام ٢٠١١ الصادر عن المؤسسة الدولية لترقق العظم (IOF) إلى أنه "على الرغم من وفرة أشعة الشمس في الشرق الأوسط، فإن المنطقة تسجّل أعلى معدلات داء الكساح، تلين العظام، من حول العالم".[١٠٥]

ويشير التقرير أيضاً إلى أن انتشار نقص فيتامين (د) المأخوذ من الشمس هو السبب الرئيس لتلك الأمراض التي تسبب الكسور القاتلة وأمراض الغدد والقلب والأوعية الدموية.

وتُسجل السعودية وإيران أعلى نسب الإصابة بين الفتيات المراهقات بهذا النقص، تصل في السعودية إلى ٨٠٪، وإيران إلى ٧٠٪، وقد أشار التقرير إلى أن أحد أسباب هذا النقص هو نمط اللباس في بلدان الشرق الأوسط.[١٠٦]

ج. تجنب الاختلاط:

يختلف مفهوم الاختلاط لدى النساء اللواتي تمت مقابلتهن. جميع النساء من ذات التعليم المتدني أجمعن على أنه يتمثل بالأعراس التي يجتمع فيها الجنسان رجالاً ونساءً للاحتفال تحت سقف واحد، وقد توقفت جميعهن عن الذهاب إلى تلك الأعراس تجنباً للاختلاط الذي تنهى عنه الفضائيات الدينية باستمرار. تقول (أ.أ) من بلاطة وعمرها ٤٤ عاماً إنها، بعد مشاهدة الفضائيات الدينية توقفت عن الذهاب إلى الأعراس المختلطة: "أعراس مختلط ما بروح .. تعاملي مع الناس منيح وكويس وبحبوح". وكذلك الحال بالنسبة لـ(م.إ) من الأمعري: "كنت قبل ٢٠٠١ أطلع على أعراس بعد القنوات لما صارت تفهمك أنه هادا حرام بطّلت أروح"، وتقول أم أشرف وعمرها ٤٨ من نابلس: "عرف الواحد إنه ما يرحش (لا يذهب) إلى الأعراس .. قعدت فترة ما أرحش (لا أذهب) إلى الأعراس كنت أعرف إنه حرام .. حرام تروحي على المناسبات على الأعراس لأنه فيها موسيقى وفيها اختلاط". وكذلك (هـ.غ) من دورا بالخليل التي وصفت تلك الأفراح بأجواء الفساد التي أبعدتها الفضائيات عنها: "كتير بتتغير القيم ...الأفراح بتحسي أنه بطلت عالمك بالمرة .. لما أنتِ بدكيش (لا تريدين) تحضري أفراح كتير نقطة صعبة عليكِ بدك كثير تجاهدي مكان فيه فساد أنتِ مسؤولة أنك ما تقعدي فيه".

أما الاختلاط في أذهان النساء ذوات التعليم المتقدم (جامعي)، فهو ذلك المتعلق بالاختلاط في الجامعات، وهو ما لا يمتنعن عنه على الرغم مما يسمعنه عبر الفضائيات عن "حرمته". تقول (ي.ن) من الخليل إنها بعد

أن سمعت من محمد حسان، الداعية الذي تفضله، عن حرمة الاختلاط خافت أن تكون آثمة لأنها تدرس في جامعة مختلطة، لكنها سألت وقرأت عن الموضوع فوجدت أن النبي كان يجلس مع زوجات الصحابة ويعلمهن، كما استفتت أحداً من تيار ديني آخر فعرفت أنه يجوز لها أن تدرس في جامعة مختلطة.

تؤثر النظرة التي تُرسخها الفضائيات الدينية عن الاختلاط على شكل العلاقة التي تقبلها النساء بين الرجل والمرأة في المجتمع. يتراوح شكل هذه العلاقة بين التجنب التام والقبول المشروط بالضرورة القصوى. وقد أدى ذلك إلى أن تبتعد النساء عن قبول علاقة الشراكة التامة مع الرجل في المجتمع وتعززت لديهن القناعة بضرورة تخصص كل جنس فيما يتلاءم مع "تركيبته البيولوجية".

وهن بذلك يخضعن لما يُسميه بورديو "علاقات الهيمنة والاستغلال" التي تؤدي إلى تقسيم الأشياء والممارسات بحسب "التعارض بين المذكر والمؤنث".[١٠٧]

وتجدر الإشارة هنا إلى أن جميع النساء اللواتي تمت مقابلتهن، بمن فيهنّ المتقدمات في السن يتقبلن فكرة الاختلاط في التعليم لقلة مؤسسات التعليم المنفصل.

تقول (ع.أ) من الأمعري: "هي بنتي (ها هي ابنتي) إذا حاكاها شب وقال لها أعطيني كتاب بتقول له لأ لو سمحت في شب روح خذ من الشب (الشاب) ... لو فيه دولة إسلامية ما بتحط (لا تضع) البنت مع الولد".

د. الإكثار من العبادات:

أجمعت النساء، بلا استثناء، على أن الفضائيات الدينية علّمتهنّ الكثير من العبادات غير تلك المفروضة كـ "صلاة الضحى" و"التسبيح" و"الدعاء". وقد ذكرن جميعهن أن كل تلك الأمور "تقوي الدين". وتختلف "قوة الدين" التي تمنحها الفضائيات الدينية لهؤلاء النساء

عن طريق العبادات. فبالنسبة للنساء اللواتي نشأن في بيئة متدينة، تساهم الفضائيات فقط في "تثبيت العبادات" و"التذكير بها". تقول أم مؤمن وعمرها ٣٢ عاماً من بيت وزن بنابلس: "في التزام ديني من قبل الفضائيات فقط تذكير".

أما بالنسبة للنساء اللواتي نشأن في بيئة "منفتحة"، أو جاء تدينهنّ في سن متقدمة، فإنهن تعرفن على عدد من العبادات والتزمن بها بعد مداومتهنّ على مشاهدة الفضائيات الدينية فقط. تقول أم عطا وعمرها ٥١ من نابلس إن أكثر ما استفادت منه من مشاهدة الفضائيات هو العبادات: "كنا جاهلين ما بنعرف (لا نعرف) بأمور الدين ... كنا خلص ... هلقيت (الآن) بنعرف (نعرف) الصلاة ... بنهلل (نهلل) ... بندعي (ندعو)".

تقول (ز.ح) وعمرها ٣٠ عاماً من نابلس: "كنت أسرع في الصلاة". أما أم أشرف ٤٨ عاماً من حي الياسمينة بنابلس فتقول: "صلاة الضحى أصبحت أصليها بسبب الفضائيات".

(ص.ن) وعمرها ٤١ عاماً من حي الياسمينة في نابلس فتقول: "أهم شيء تعلمنا كيف نطيع ربنا ... كيف أعطانا نعم كثيرة وإحنا (نحن) لازم بأشياء لازم (يجب) نعملها مفروضة علينا مثل الصلاة والزكاة والعبادة ... وقراءة القرآن ... ما كنتش (لم أكن) أقرأ قرآن صرت أحضر تفسير .. فقه السنة".

أما (أ.أ) من مخيم بلاطة وعمرها ٤٤ عاماً فتقول: "ما كناش (لم نكن) ملتزمين بالصلاة ... نؤجلها قبل العصر بساعة أو ساعتين ... الأدعية ... التسبيحات ... الاستغفار ... في مجموعة من الناس تدينت كانوا يقضوا وقتهم على الأفلام والأغاني".

أما (ش.أ) من رام الله عمرها ٥٠ عاماً، فتقول: "صرت أصلي الضحى ... ولما كنت أروح مشوار ما أقلق هلأ (الآن) صرت أتضايق أنه الصلاة ضاعت عليّ ... إن رحت على عرس أكمله ما أكمله بدي أقوم أصلي".

(ل.ط) أرملة من رام الله عمرها ٥٦ عاماً تقول إنها كانت في صباها لا تستمع إلى النصائح بالحجاب: "صرنا نفهم ... ما كنتش أفهم الدين ... أهالينا كانوا جاهلين ... المهم الوحدة (المرأة) تلبس وبس (فقط)".

كما تقول (م.إ) من الأمعري "بتشجعك على صلاة قيام الليل بتشجعك لما تسمعي أحاديث حلوة عن الرسول بزيد إيمان الواحد".

وتمنح العبادات تلك النساء راحة نفسية وأمناً بسبب "تحقيق رضا الله". وتعطي معظم النساء اللواتي تمت مقابلتهن اهتماماً بالتفاصيل الصغيرة الكثيرة لكيفية العبادات، لذلك يُقبلن كثيراً على برامج الفتاوى التي كثيراً ما تختلف من داعية إلى آخر.

ويعزز الإكثار من العبادات لدى النساء الرغبة في الخلاص الفردي من خلال الراحة النفسية التي تمنحها لهن العبادات التي لا تتطلب بذل جهد لتطوير المهارات والكفاءات ولا اندماجاً في المجتمع، بل تساعد على الزهد في الدنيا كما أسلفنا.

ولم تشر أيٌّ من اللواتي تمت مقابلتهنّ إلى عبادات "إبداعية" تعود على المجتمع بالفائدة كالتفكر والعمل.

هـ. تعزيز الأخلاق وتقويم السلوك:

أشارت جميع النساء اللواتي تمت مقابلتهن إلى أن الفضائيات الدينية ساهمت في تقويم سلوكهنّ وتحسين أخلاقهنّ. وأكثر ما أشرن له هو تخليهن عن الغيبة. تقول (ز.ح) من مدينة نابلس: "توقفت عن الاستغابة (الغيبة) حتى لو تضايقت من شيء ربنا يحفظها يوم القيامة".

تقول أم توفيق وعمرها ٦٢ عاماً من قرية بيت وزن قرب نابلس: "أنا بخاف (أخاف) إذا أي ناس قعدوا وفتحوا سيرة أي بنت مثلاً يحكوا عليها بخاف بقول إحنا ما شفنا (لم نرَ) ما بصير نشهد".

تقول (أ.أ) من بلاطة وعمرها ٤٤ عاماً: "بقينا نستغيب (نغتاب) بطلنا ... بقينا نسلّم بطلنا ... ربنا هدانا".

أما (ن.ع) وهي مُدرّسة للعلوم في القدس، فتقول إن السلوك هو أهم ما يجب التركيز عليه في الدين، وإنها سعيدة لأنها قدوة لطالباتها، وإنها بسلوكها القويم تنشر الدين: "أنا لما بحكي للبنات إحنا مسلمين وهيك (هكذا) لازم (يجب) يكون تأثيرنا برة (بالخارج) ... وبيقولوا (تقول الطالبات) زي (مثل) مس نادية حلو إنهم بتطلعوا عليكِ أنكِ أنتِ قدوة وبدهم يقلدوكِ".

(ل.ط) أرملة من رام الله عمرها ٥٦ عاماً تقول: "كنا نبرم (نتحدث) ... صرنا نسمع ونقول صلى الله عليه وسلم ... الحمد لله البرامج أثرت".

(غ.ع) عمرها ٢٥ عاماً من قرية سنجل قرب رام الله تقول إنها قللت من الغيبة والنميمة: "حضرت حلقة لعمرو خالد حسيت (شعرت) بعدها إني كثير قليت (قلّلت الغيبة) أنا برأيي إنه كل يوم لو بنحضر (نحضر) حلقة روحانية أو دينية كثير بنتقدم بحياتنا ... لما تحضري حلقة بتحسي (تشعرين) أن روحك ترجع للمكان اللي (الذي) كانت فيه".

أما (خ.س) من رام الله وعمرها ٤١ عاماً فتقول: "قلّت أحاديثنا الدنيوية ... صرت أقول للأولاد شوفوا علي شو عمل وشو عمل عمر".

أم فارس من رام الله عمرها ٤٤ عاماً: "توقفت عن الغيبة ... وصرنا نحافظ على اللسان بما يرضي الله ... صرت أفهم القرآن وأكثر المعاني ... كنت مجرد قارئة ... صرت أحس برهبة وأنصح صديقاتي أن يحضروا الرسالة".

ويُلاحَظ أن السلوك الذي تم تقويمه، حسب هؤلاء النساء، هو الغيبة، أي أنه تم "تهذيب أوقات الفراغ" لدى النساء.

كما يُلاحظ أن لذلك السلوك علاقة بالمكانة الاجتماعية المستمدة من الدين، بمعنى أن النساء اللواتي يأمرن غيرهن بتجنب الغيبة يستمددن

من الدين "سلطة" تسمح لهن بإصدار المزيد من الأوامر والنواهي لمن حولهن، أو على الأقل تنعكس على علاقاتهنّ مع المجتمع المحيط بهنّ. تقول (ع.أ) وعمرها ٤٣ عاماً من الأمعري: "سور الإعجاز في الخلق بتعرفك قدرة رب العالمين ... إيمانك قل بيخليه يزيد .. بتتشجعي أشياء بتعرفيهاش في الدين بتصيري تعرفيها وتطبقيها كيف تتعامل مع الناس إذا صارت مشاكل بتعرفي كيف تتعاملي مع الناس تحاولي إنك إذا صارت مشاكل كيف تتعاملي معها مع زوجك مع الجار".

و. الميل إلى اعتزال المحيط الاجتماعي:

ترى النساء المداومات على مشاهدة الفضائيات الدينية أن متابعة الدروس نوع من "الواجب الديني" و"مصدر للثواب"، لأن مضمون ما يُبث يدور حول القرآن والسنة وقصص الأنبياء والصالحين. وتقول هؤلاء النساء إن قضاء الوقت في مشاهدة تلك القنوات بديل عن القنوات الأخرى التي تبث المسلسلات والأغاني، وكذلك بديل عن النشاطات الاجتماعية الأخرى كزيارة الأصدقاء والأقارب التي يكثر فيها "اللغو" و"الغيبة" و"النميمة" و"الحكي الفاضي".

تقول أم محمد من بيت وزن قرب نابلس وعمرها ٦٥ عاماً: "كنت أنزل على الجامع بطلت صرت أسمع القنوات في الدار ... بدال (بدل) ما تتابعي مسلسلات تتابعي شيوخ".

تقول (و.ر) طالبة لغة إنجليزية بجامعة بيرزيت من المزرعة الشرقية برام الله: "كنت أتابع ثلاث أو أربع مسلسلات في اليوم وأنا بالمدرسة حالياً يمكن واحد ويمكن ولا شيء ... الثقافة الدينية حلت محلها".

تقول (م.إ) وهي ربة بيت من الأمعري وعمرها ٣٩ عاماً: "صارت الفضائيات بديل عن الصديقات والجارات ... لو بصرف كل وقتي على الفضائيات أفضل"، لكنها لا تجد ذلك فرضاً "لازم المرأة تطلع .. تحتك بالناس".

أما (ف.ح) وهي واعظة في الخمسين من عمرها في مخيم بلاطة فتقول: "جاءت الفضائيات وسددت خطانا للأفضل ... احنا (نحن) في مخيمنا كانت تقعد المرأة باب دارها وتلقّط طبيخها تشرب شاي وتعزم على جارها ... كانت هذه ظاهرة عانينا منها ... إحنا بنقولش (نحن لا نقول) للمرأة تنحبس (تُسجن) ... بس مش بشكل إني أعمل مضافتي باب الدار ... وين حرمة الدار؟ المرأة جوهرة مغلقة إذا طلعت بهت لونها ... الآن قليل جداً بتلاقي ست (تلاقي سيدة) قاعدة قدام البيت".

وتجدر الإشارة إلى أن منزل (ف.ح) معتم ولا يوجد به إلا شباك واحد، وكذلك حال معظم بيوت مخيم بلاطة، وقد دأبت النساء على الجلوس على عتبات البيوت من أجل التعرض للشمس والهواء، وليس من أجل الإغواء وإثارة الفتنة.

وتُشكل الفضائيات الدينية أحد العوامل المشتركة التي تجمع النساء في المجتمعات الدينية وتساهم في اقترابهن من بعض واعتزال "الآخرين" من غير المتدينين، وهو ما جرى مع (ع.أ) وعمرها ٤٣ من الأمعري التي تقول إن علاقتها مع الناس غير المتدينين قلّت.

الخلاصة

يُشاهد الفلسطينيون الفضائيات الدينية بفضل ما وفرته لهم ثورة الاتصالات من خيارات متعددة المضمون، وتنتقي النساء في فلسطين الفضائيات الدينية على الرغم مما تفتقد له من عوامل الجذب البصري وفنون الإعلام المختلفة التي تتوفر في الفضائيات الأخرى.

تُفسر نظرية "التعرض الانتقائي لوسائل الإعلام" إقبال النساء الفلسطينيات على هذا النوع من الفضائيات الدينية طوعاً. إذ تقول هذه النظرية إن الفرد ينتقي وسائل الإعلام بناء على عوامل مرتبطة بالتنشئة الاجتماعية، فيختار من الإعلام ما يهمه أو يكون بحاجة إليها. وبذلك يمكن القول إن النساء الفلسطينيات يخترن الفضائيات الدينية تحت تأثير التنشئة الدينية في الأسرة أو التدين الذي اجتاح العالم العربي في العقدين الأخيرين وجعل لديهن حاجة للمعرفة الدينية التي تجعلهنّ على قدر من التدين يتماشى مع توجه المجتمع.

وتزداد حاجة الإنسان للدين وتُصبح مُلحة "عندما يعيش في ظروف عدم اطمئنان تؤثر على أمنه ورفاهيته بشكل لا يمكن التحكم به" حسبما يقول توماس أوديه في النظرية الوظيفية للدين وهذا ما تثبته النتائج التي توصلت لها هذه الدراسة عن دوافع مشاهدة النساء للفضائيات الدينية والتي تشير إلى أن النساء يُقبلن على مشاهدة الفضائيات للاستزادة من الدين الذي يوفر لهن الراحة النفسية والرضا عن واقع صعب يعشنه كالفقر أو العنف الأسري أو النقص الاجتماعي.

بالنظر إلى مضمون ما يُبث على الفضائيات الدينية نجد أنه يوجد نمطان للبرامج والدعاة من حيث النهج وأسلوب الدعوة؛ أولهما النمط المتشدد ويقوده دعاة سلفيون في مصر والسعودية مثل عائض القرني، ومحمد حسان، ومحمود المصري، وأبو اسحق الحويني.

وتُمثل قناة المجد منبر السلفية الوهابية السعودية، بينما قنوات الناس والحكمة والرحمة والحافظ هي منبر السلفية في مصر. ويتسم أسلوب الدعاة على هذه القنوات بالترهيب والتخويف والشدة.

أما النمط الثاني فهو أقل تشدداً ويمثله مَن يُسمون بالدعاة الجدد مثل عمرو خالد، والمعز مسعود، وطارق سويدان، ويظهرون على قناتي الرسالة واقرأ الدينيتين وقنوات أخرى غير دينية كإم بي سي والمحور. وينتهج هؤلاء أسلوب الترغيب والمواءمة بين الدين ومتطلبات العصر.

انتصر النهج السلفي المتشدد على النهج المعتدل من حيث الانتشار في الفضائيات الدينية، الأمر الذي يشير إلى انتكاس الفكر المتنور، ويدل على ذلك صعودُ نجم السلفيين في الانتخابات البرلمانية المصرية.

ويعود سبب انتشار القنوات السلفية إلى امتلاك هؤلاء الدعاة لتلك القنوات مثل قناة "الرحمة" التي يمتلكها محمد حسان، أو تمويلها من قبل رجال أعمال سعوديين قريبين من النهج الوهابي السلفي مثل قناتي الناس والحافظ.

تُثبّت الفضائيات الدينية القيم السائدة المستقاة من العادات والتقاليد، وكذلك المعايير التي يُحكم من خلالها على الخطأ والصواب.

ففيما يتعلق بالمرأة، تُكرس هذه الفضائيات النظرة الدونية لها وفكرة نقصانِ عقلها مقارنة بالرجل وأفضلية الرجل عليها، وهي بذلك تضفي شرعيةً على ما تتعرض له النساء من عُنف وتهميش وحرمان من حقوق التعليم والعمل والمشاركة المجتمعية والسياسية. كما تُبقي على تبعية المرأة للرجل اقتصادياً بالاعتماد على تفسير القوامة انطلاقاً من الفروق البيولوجية بين المرأة والرجل.

تُعظّم الفضائيات أهمية الطقوس الظاهرية في الدين كالحجاب الذي يتمثل برأيهم بالنقاب وما يتبعه من احتجاب للمرأة عن المجتمع وعدم الخروج من المنزل وعدم اختلاطها مع الرجل حتى في التعليم، فكانت النتيجة أن انغلقت النساء في مجتمعات دينية صغيرة تقوم على التجانس بينهن في درجة التدين فيجدن فيها القوة والمَنَعة لمواجهة أي أفكار أخرى مختلفة، ويكون التنافس بينهن على مكانة يحققنها في تلك المجتمعات المنغلقة حسب درجة التدين التي تُغذيها الفضائيات الدينية. ورويداً رويداً، تتشكل في أيدي أكثر المُتدينات بينهنّ سلطة تُمكن امرأة أميّة مثلاً من تهذيب أخرى متعلمة كما هو الحال مع إحدى الداعيات في قرية السموع بالخليل.

يُمثل إقبال النساء في فلسطين على الفضائيات الدينية واستجابتهن لها إخفاقاً لوسائل الإعلام الأخرى التي لم تستطع جذب النساء المهمّشات والشابات وملامسة مشاكلهنّ الاجتماعية والنفسية. فوسائل الإعلام غير الدينية إما أنها تخصص برامج المرأة لأمور شكلية سطحية كالماكياج والأزياء والديكور والطبخ، وإما أنها تهتم فقط بالنُّخب من السياسيات والمثقفات وتهمل بذلك الشريحة الأوسع من النساء ذوات التعليم المتوسط والمتدني والمهمّشات اجتماعياً.

لكنّ الفضائيات الدينية فشلت أيضاً بالارتقاء بمستوى المرأة وتقديم ما يُطورها وينهض بها ويُخرجها من بؤسها، لأنها تجعل جُلّ اهتمامها مُنصبّاً على الحصول على "زوج صالح" فقط، وما يتبعه من اهتمام بالجسد بغرض الحفاظ على ذلك الزوج، الأمر الذي جعل قضايا المرأة في الفضائيات الدينية لا تخرج عن كل ما يتعلق بالمرأة المتزوجة الخصبة التي تحمل وتلد فقط، فيما تُهمل المرأة المنتجة فكرياً أو اقتصادياً.

لا تُقدم الفضائيات الدينية أي تصور لدور حقيقي للدين في تنمية المجتمع والنهوض به، كذلك الدور الذي يرى فيبر أن البروتستانتية لعبته في القرن الثامن عشر، والذي أدى إلى النهضة الاقتصادية والصناعية بتغيير النظرة إلى العمل، بل إن دور الدين الذي تقدمه تلك

الفضائيات يشبه دور مُسكّن الألم، فالفضائيات الدينية تنادي بالقبول بالواقع البائس والتعايش معه بحجة أنه ابتلاء من الله، كما تؤدي بالنساء إلى الاهتمام بالآخرة من خلال السعي إلى الخلاص الفردي والعمل لهذا الهدف بالإكثار من العبادات وترك الدنيا، وهو العمل الذي لن يؤدي إلى نهضة اقتصادية أو علمية، ولا حتى أي تغيير على المستوى الفردي لهؤلاء النساء. وهذا ما سمّاه فيبر في نظرية الأخلاق البروتستانتية بـ "الزهد الدنيوي" الذي سارت عليه الكاثوليكية وأعاقت النهضة الاقتصادية في بعض مناطق أوروبا.

كما أدت الفضائيات الدينية إلى رفض أي أفكار تنموية أجنبية واعتبارها استمراراً للغزو والاستعمار، وهو الدور الذي تلعبه الأديان في حياة الشعوب المستعمرة.

ساعدت الفضائيات الدينية على تشكيل "سلطة دينية نسائية" داخل المجتمع تتمثل بـ "الواعظات" اللواتي وافقت السلطة الوطنية الفلسطينية على وجودهن بحيث تكون وزارة الأوقاف مسؤولة عن تعيينهن واختيارهن وتخصيص رواتب رمزية لهنّ. لكن هؤلاء الواعظات لا يتحلين بالضرورة بالمعرفة والعلم، وتعتمد كثيرات منهن على الفضائيات الدينية في فتواهن ومواعظهن، الأمر الذي يُنذر بسيادة النهج السلفي المتشدد، حتى لو كان دون قصد، ويجعل من الصعب على أي أفكار متنورة النفاذ إلى أذهان هؤلاء النساء، باعتبارها أفكاراً متهاونة ومتساهلة بالدين.

على الصعيد الإعلامي، أصبحت الفضائيات الدينية أمراً واقعاً، وبخاصة بعد أن وسّعت اهتمامها، إبان الثورة المصرية، من نطاق "الوعظ" الديني إلى مناقشة القضايا السياسية. كما أن مذيعي ومُقدمي البرامج في الفضائيات الدينية لا يتوقفون عن انتقاد وسائل الإعلام الأخرى، بل إنهم يُقدمون الفضائيات الدينية التي يعملون بها على أنها البديل لوسائل الإعلام غير الدينية.

الهوامش

[1] Field Nathan, Ahmed Hamam, "Salafi TV in Egyp". *Arab Media & Society*. The American University in Cairo. (Issue 8. Spring 2009).

[٢] هاني نسيرة. **السلفية في مصر**. القاهرة: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، ٢٠١١.

[٣] تقرير التنمية الإنسانية ٢٠٠٩/ ٢٠١٠، الأراضي الفلسطينية، "الاستثمار في الأمن الإنساني من أجل دولة مستقبلية". برنامج الأمم المتحدة الإنمائي:
http://www.arab-hdr.org/publications/other/ahdr/ahdr2009a.pdf

[٤] نجوى كامل. "الإعلام والمرأة في الريف والحضر". كلية الإعلام بجامعة القاهرة ومركز الخليج للدراسات الإستراتيجية، ٢٠٠٦.

[٥] **تقرير البث الفضائي العربي**. اللجنة العليا للتنسيق بين القنوات الفضائية العربية. اتحاد الإذاعات العربية ٢٠١٠.

[6] Reem Abd Ulhamid. "Muslim discourse on women's sexuality: the case of Iqraa TV (2008)". *Dissertation for Masters Degree*. The American University of Paris, 2009.

[٧] ميشيل فوكو. **نظام الخطاب**. ترجمة: محمد سبيلا. بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٧.

[8] Dan Laughey. *Key Themes in Media Theory*. (London: McGraw- Hill, 2007).

[٩] عواطف عبد الرحمن. **المرأة والإعلام تحديات وإشكاليات**. القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨، ص ١٣٠.

[١٠] هداية شمعون. **صورة المرأة في وسائل الإعلام الفلسطينية**. غزة: مركز شؤون المرأة، ٢٠١٠.

[١١] ميادة مهنا. **صورة المرأة في الصحافة الفلسطينية**. أطروحة ماجستير. كلية الإعلام بجامعة القاهرة، ٢٠٠٩.

[12] Khaled Hroub. *Religious Broadcasting in the Middle East*. (London: Hurst & Company, 2012).

[١٣] تشارلز رايت. **المنظور الاجتماعي للاتصال الجماهيري**. ترجمة: محمد فتحي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣، ص ١٥٢.

[١٤] بسام المشاقبة. **نظريات الاتصال**. عمّان: دار أسامة، ٢٠١١ . وعاطف عدلي عبيد. **مدخل إلى الاتصال والرأي العام الأسس النظرية والإسهامات العربية**. الطبعة الثالثة. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٩.

[١٥] احمد محمد صالح. "الدين ووسائل الإعلام" مجلة **الهلال**. عدد ٧ (٥٠-٥٩:٢٠٠٥) ص ٥٢.

[١٦] بيير بورديو. **التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول**. دمشق: دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية، ٢٠٠٤.

[١٧] ليلى عبد الوهاب. "تأثير التيارات الدينية في الوعي الاجتماعي للمرأة العربية" **الدين في المجتمع العربي: وقائع ندوة نظمتها الجمعية العربية لعلم الاجتماع**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٠، ص ٢٨١-٢٩٥.

[١٨] سامي زبيدة. **الإسلام الدولة والمجتمع**. دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، ١٩٩٥، ص ١٧.

[١٩] المرجع السابق.

[٢٠] خطاب الفضائيات الديني على صفيح النقد في منتدى الجاحظ بتونس. نُشر بتاريخ ١٤/٩/٢٠١٠. موقع الدويتشه فيله:

http://www.dw-world.de/dw/article/0,,6000524,00.html

[٢١] محمد أحمد بيومي. **علم الاجتماع الديني**. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨١، ص ٣٢٧.

[٢٢] منى أبو سنة. **نقد عقل المرأة**. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع. بدون تاريخ.

[٢٣] بيومي. مرجع سبق ذكره، ص ٤٦٩.

[٢٤] براين تيرنر. **علم الاجتماع والإسلام: دراسة نقدية لفكر ماكس فيبر**. ترجمة: أبو بكر أحمد باقادر. دمشق: دار القلم، ١٩٨٧.

[٢٥] بيومي. مرجع سبق ذكره، ص ١٦٨.

[٢٦] المرجع السابق، ص ٤٧٠.

[٢٧] المرجع السابق، ص ٤٩٥.

[٢٨] حسين العودات. **المرأة العربية في الدين والمجتمع: عرض تاريخي**. دمشق: الأهالي، ١٩٩٦، ص ١٦١.

[٢٩] المرجع السابق، ص ١٦٢ و١٦٣.

[٣٠] المرجع السابق، ص ١٢٠.

[٣١] المرجع السابق، ص ١٢٦.

[٣٢] المرجع السابق، ص ١٣٤.

[٣٣] المرجع السابق، ص ١٣٥.

[٣٤] المرجع السابق، ص ١٥٨ وص ١٥٩.

[٣٥] ليلى عبد الوهاب، ص ٢٨٢.

[٣٦] زهير الديعي. "من ملامح القراءة الإصلاحية للدين الإسلامي". **قضايا إسلامية موضوعات في الإصلاح والتجديد**. تحرير عبد المجيد سويلم. رام الله: مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان، ٢٠٠٧، ص ٣٤.

[٣٧] حسين العودات، ص ١٧٠ – ١٧٤.

[٣٨] إياد البرغوثي. **الأسلمة والسياسة في الأراضي الفلسطينية المحتلة**. رام الله: مركز رام الله لحقوق الإنسان، ٢٠٠٣، ص ٣٤.

[٣٩] المرجع السابق، ص ١٣.

[٤٠] المرجع السابق، ص ١٧.

[٤١] المرجع السابق، ص ٥٥.

[٤٢] المرجع السابق، ص ٣٠.

[٤٣] حسن جبر. "حوار مع التيارات السلفية في غزة". **فلسطين السفير العربي**. عدد ٢٣، الخميس ١٥ آذار ٢٠١٢ بيروت.

[٤٤] إياد البرغوثي. **الأسلمة والسياسة في الأراضي الفلسطينية المحتلة**، ص ٦٠.

[٤٥] المرجع السابق، ص ٦٣.

[٤٦] استحقاق أيلول والدولة الفلسطينية (استطلاع رقم (٥)). رام الله: مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان، آب ٢٠١١.

[٤٧] محمد المسفر. "تحليل الرسالة الإعلامية .. تأثير الفضائيات العربية على الشباب العربي". مجلة **المفكر**. العدد الثالث. جامعة محمد خضير بسكرة، ٢٠٠٨، ص ٤٣.

[٤٨] التلفزيون والسياسة، موقع النبأ:
http://annabaa.org/nbanews/62490/.htm

[٤٩] أحمد صالح، مرجع سبق ذكره، ص ٥٧.

[٥٠] خالد الحروب. "الفضائيات الدينية انتشارها وتأثيرها". صحيفة **الأيام** (رام الله): ٢٠١٠/٢/١.

[٥١] الهيثم زعفان. **الفضائيات الشيعية التبشيرية: دراسة وصفية مع تحليل قناة الكوثر الإيرانية**. القاهرة: مركز التنوير للدراسات الإنسانية، ٢٠١٠.

[٥٢] خطاب الفضائيات الديني على صفيح النقد في منتدى الجاحظ بتونس. نُشر بتاريخ ٢٠١٠/٩/١٤. موقع دويتشه فيله:
http://www.dw-world.de/dw/article/0,,6000524,00.html

[٥٣] ريم عبد الحميد. "الجارديان: إعادة أسلمة مصر بدأت في عهد جمال عبد الناصر". **اليوم السابع**، القاهرة: ٢٠١٢/١/٣.

[٥٤] خالد الحروب. "الفضائيات الدينية انتشارها وتأثيرها". صحيفة **الأيام**: ٢٠١٠/٢/١.

[٥٥] مصطفى مشهور. **القدوة على طريق الدعوة**. القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ص ١٨٧ و ص ١٨٨.

[٥٦] المرجع السابق، ص ١٥٢.

[٥٧] تولى ابن باز منصب مفتي المملكة العربية السعودية بين العامين ١٩٩١ و١٩٩٩. انظر الموقع الرسمي لابن باز:

http://www.binbaz.org.sa/

[٥٨] موقع الإسلام سؤال وجواب:

http://islamqa.info/ar/ref/3633

[٥٩] نقلاً عن صحيفة **عكاظ السعودية** ١٧/١/٢٠٠٣. صقر أبو فخر. **الدين والدهماء والدم .. العرب واستعصاء الحداثة**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠١١، ص ٦٣.

[٦٠] ليلى عبد الوهاب. مصدر سبق ذكره، ص ٢٩٣.

[٦١] صبري حسنين وأحمد عدلي. "إيقاف ١٤ وإنذار ٢٠ قناة فضائية تبث من مصر"، موقع إيلاف:

http://www.elaph.com/Web/arts/2010605327/10/.html?entry=artsmukhtarat

[٦٢] نادية منصور. "الفضائيات الدينية وراء فوضى الفتاوى ونشر التزمت". **الأهرام**، القاهرة، عدد ٤٥١٤٠، ٩ تموز ٢٠١٠.

[٦٣] هشام عطية. "القنوات الدينية تجارة بضاعتها نشر الخوف وتأثيم المرأة". مجلة **حقائق تونس والعالم العربي**، تونس، عدد ١١٠، من ٢٩ آذار إلى ١١ نيسان ٢٠١٠، ص٢٧.

[٦٤] المرجع السابق.

[٦٥] نادية منصور. مرجع سبق ذكره.

[٦٦] المرجع السابق.

[٦٧] هشام. مرجع سابق.

[٦٨] نادية منصور. مرجع سابق.

[٦٩] أحمد صالح، مصدر سبق ذكره، ص ٥٩.

[٧٠] سميح محسن. **الفكر الديني وحقوق الإنسان**. رام الله: مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان، ٢٠٠٤.

[٧١] يحيى جابر. **ناقصات عقل ودين**. بيروت: الفرات للنشر والتوزيع، ٢٠١٠، ص ٩٤.

[٧٢] المرجع السابق، ص ١٦٣.

[٧٣] المرجع السابق، ص ٩٧.

[٧٤] منظمة المساواة الآن. "السعودية: النساء تحت الولاية الدائمة لأقاربهن الذكور". نُشر بتاريخ: ١٣/ ٥/ ٢٠١٠. الموقع الإلكتروني لـ "مساواة":
http://www.equalitynow.org/node/426

[٧٥] يحيى جابر، مصدر سبق ذكره، ص ٩٣.

[٧٦] بيير بورديو. **الهيمنة الذكورية**. ترجمة: د. سلمان قعفراني. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٩.

[٧٧] عبد العزيز بن باز. **الأدلة النقلية والحسية على جريان الشمس وسكون الأرض وإمكان الصعود إلى الكواكب**، مكة: مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، ١٩٧٤، ص ١٢.

[٧٨] آية ٤٦ من سورة الحج.

[٧٩] بيير بورديو. مرجع سبق ذكره.

[80] http://www.youtube.com/watch?v=QwYPX0kHLCo&playnext=1&list=PLBDA74AC9BED824C9&feature=results_video

[٨١] بيير بورديو. مرجع سبق ذكره، ص ١٣٠.

[٨٢] المرجع السابق، ص ٥٠.

[٨٣] المرجع السابق.

[٨٤] مقابلة مع عبد الرحمن محمود مسؤول غرفة التحكم في مكتب فلسطين للإعلام والاتصال. رام الله، (١/ ١١/ ٢٠١١).

[٨٥] بيير بورديو. مرجع سبق ذكره، ص ٧٢.

[٨٦] المرجع السابق.

[٨٧] المرجع السابق، ص ٧٣.

[٨٨] المرجع السابق، ص ٧٨.

[٨٩] المرجع السابق، ص ٩٠.

[٩٠] المرجع السابق.

[٩١] المرجع السابق، ص ١٠٠.

[٩٢] مقابلة مع د. مصطفى علي. طبيب عام في مستشفى القدس في عمان: ٢٠١١/٨/٣١.

[٩٣] الفضاء الديني في الثقافة الفلسطينية، استطلاع رقم (٣) آب ٢٠٠١. رام الله: مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان، ٢٠١٠.

[٩٤] **الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني**. ٢٠٠٩. مسح الثقافة الأسري ٢٠٠٩، تقرير النتائج الرئيسية، رام الله – فلسطين.

[٩٥] إيميل دوركهايم. **قواعد المنهج في علم الاجتماع**. ترجمة: محمود قاسم. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦١.

[٩٦] بيير بورديو. مرجع سبق ذكره.

[٩٧] بيير بورديو. المرجع السابق. ص ٧٤.

[٩٨] انظر ص ٦٦–٦٧ من هذه الدراسة.

[٩٩] بيير بورديو. مرجع سبق ذكره.

[١٠٠] مقابلة خاصة مع عاطف صالح مدير عام دائرة الوعظ والإرشاد في وزارة الأوقاف. رام الله ٢٠١١/١٢/٢٩.

[١٠١] اتهمت حماس السلطة بمنع أنصارها من تولي الوظائف العامة بعد الانقسام الذي حدث العام ٢٠٠٧ إثر سيطرة حماس على قطاع غزة بالقوة.

[١٠٢] أنتوني غدنر. **علم الاجتماع**. بيروت: مركز دراسات الوحدة، ٢٠٠٥.

[١٠٣] الفضاء الديني في الثقافة الفلسطينية، استطلاع رقم (٣) آب ٢٠١٠. رام الله: مركز رام لله لدراسات حقوق الإنسان، ٢٠١٠.

[١٠٤] واثق غازي. **الدين واحتكار الحقيقة**. بيروت: الانتشار العربي، ٢٠٠٩، ص ١٣٨.

[١٠٥] تقرير المراجعة الإقليمي للشرق الأوسط وإفريقيا "الوبائيات والتكاليف والأعباء المرتبطة بترقق العظم في الشرق الأوسط وإفريقيا للعام ٢٠١١". المؤسسة الدولية لترقق العظم ٢٠١١، ص ١٩.

[١٠٦] المرجع السابق، ص ١٩.

[١٠٧] بيير بورديو. مرجع سبق ذكره، ص ٥٥.

المراجع

مصادر باللغة العربية

ابن باز، عبد العزيز. **الأدلة النقلية والحسية على جريان الشمس وسكون الأرض وإمكان الصعود إلى الكواكب**. مكة: مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، ١٩٧٤.

أبو زيد، نصر حامد. **المرأة في خطاب الأزمة**. القاهرة: دار نصوص، ١٩٩٥.

أبو سنة، منى. **نقد عقل المرأة**. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (بدون تاريخ).

أبو فخر، صقر. **الدين والدهماء والدم العرب واستعصاء الحداثة**. الطبعة الأولى. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٧.

البرغوثي، إياد. **الأسلمة والسياسة في الأراضي الفلسطينية المحتلة**. الطبعة الثانية. رام الله: مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان، ٢٠٠٣.

البريدي، عبد الله. **السلفية والليبرالية اغتيال الإبداع في ثقافتنا العربية**. الطبعة الأولى. بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٨.

بورديو، بيير. **التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول**. دمشق: دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية، ٢٠٠٤.

بورديو، بيير. **الهيمنة الذكورية**. ترجمة: د. سلمان قعفراني. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٩.

بيومي، محمد أحمد. **علم الاجتماع الديني**. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨١.

تيرنر، براين. **علم الاجتماع والإسلام: دراسة نقدية لفكر ماركس فيبر**. ترجمة: أبو بكر باقادر. دمشق: دار القلم، ١٩٨٧.

جابر، يحيى. **ناقصات عقل ودين**. الطبعة الأولى. بيروت: الفرات للنشر والتوزيع، ٢٠١٠.

جبر، حسن. "حوار مع التيارات السلفية في غزة". **فلسطين السفير العربي** (بيروت). عدد ٢٣. ١٥ آذار ٢٠١٢.

جعيط، هشام. **الفتنة جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر**. الطبعة الرابعة. بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٠.

الحروب، خالد. "الفضائيات الدينية انتشارها وتأثيرها"، صحيفة **الأيام** (رام الله) ١/٢/٢٠١٠.

حسنين، صبري، أحمد عدلي. "إيقاف ١٤ وإنذار ٢٠ قناة فضائية تبث من مصر". موقع إيلاف:

http://www.elaph.com/Web/arts/2010/10/605327.html?entry=artsmukhtarat

الدبعي، زهير. "من ملامح القراءة الإصلاحية للدين الإسلامي". **قضايا إسلامية موضوعات في الإصلاح والتجديد**. تحرير: عبد المجيد سويلم. رام الله: مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان، ٢٠٠٧.

دوركهايم، إيميل. **قواعد المنهج في علم الاجتماع**. ترجمة: محمود قاسم. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦١.

رايت، تشارلز. **المنظور الاجتماعي للاتصال الجماهيري**. ترجمة: محمد فتحي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣.

الربيعي، صاحب. **المرأة والموروث في مجتمعات العيب**. الطبعة الأولى. دمشق: صفحات للدراسات والنشر، ٢٠١٠.

زبيدة، سامي. **الإسلام الدولة والمجتمع**. ترجمة: عبد الإله النعيمي. الطبعة الأولى. دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، ١٩٩٥.

شمعون، هداية. "صورة المرأة في وسائل الإعلام الفلسطينية". غزة: مركز شؤون المرأة، ٢٠١٠.

صالح، أحمد محمد. "الدين ووسائل الإعلام". مجلة **الهلال**. عدد ٧. ٢٠٠٥.

عبد الحميد، ريم. "الجارديان: إعادة أسلمة مصر بدأت في عهد جمال عبد الناصر". **اليوم السابع** (القاهرة). ٣/١/٢٠١٢.

عبد الرحمن، عواطف. **المرأة والإعلام تحديات وإشكاليات**. القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨.

عبد الوهاب، ليلى. "تأثير التيارات الدينية في الوعي الاجتماعي للمرأة العربية". **الدين في المجتمع العربي: وقائع ندوة نظمتها الجمعية العربية لعلم الاجتماع**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٠.

عبيد، عاطف عدلي العبد. **مدخل إلى الاتصال والرأي العام الأسس النظرية والإسهامات العربية**. الطبعة الثالثة. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٩.

عطية، هشام. "القنوات الدينية تجارة بضاعتها نشر الخوف وتأثيم المرأة". مجلة **حقائق تونس والعالم العربي** (تونس). عدد ١١٠. من ٢٩ آذار إلى ١١ أبريل ٢٠١٠.

العلاق، بشير. **نظريات الاتصال مدخل متكامل**. عمان: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، ٢٠١٠.

العودات، حسين. **المرأة العربية في الدين والمجتمع: (عرض تاريخي)**. الطبعة الأولى. دمشق: الأهالي، ١٩٩٦.

غازي، واثق. **الدين واحتكار الحقيقة آراء في نقد التفكير والسلوك الديني**. الطبعة الأولى. بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠٠٩.

غدنر، أنتوني. **علم الاجتماع**. بيروت: مركز دراسات الوحدة، ٢٠٠٥.

فوكو، ميشيل. **نظام الخطاب**. ترجمة: محمد سبيلا. بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٧.

قراملكي، أحمد فرامرز. **مناهج البحث في الدراسات الدينية**. تعريب سرمد الطائي. الطبعة الأولى. بيروت: معهد المعارف الحكمية، ٢٠٠٤.

كامل، نجوى. "الإعلام والمرأة في الريف والحضر" الملخص التنفيذي. كلية الإعلام بجامعة القاهرة ومركز الخليج للدراسات الإستراتيجية، ٢٠٠٦.

محسن، سميح. **الفكر الديني وحقوق الإنسان**. رام الله: مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان، ٢٠٠٤.

المسفر، محمد. "تحليل الرسالة الإعلامية .. تأثير الفضائيات العربية على الشباب العربي". مجلة **المفكر**. العدد الثالث. جامعة محمد خضير بسكرة، ٢٠٠٨.

مسلان، ميشال. **علم الأديان مساهمة في التأسيس**. الطبعة الأولى. أبو ظبي: كلمة، ٢٠٠٩.

المشاقبة، بسام عبد الرحمن. **نظريات الاتصال**. الطبعة الأولى. عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠١١.

مشهور، مصطفى. **القدوة على طريق الدعوة**. القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، (بدون تاريخ).

منصور، نادية. "الفضائيات الدينية وراء فوضى الفتاوى ونشر التزمت". **الأهرام** (القاهرة). عدد ٤٥١٤٠. ٩ يوليو ٢٠١٠.

منظمة المساواة الآن. "السعودية: النساء تحت الولاية الدائمة لأقاربهن الذكور" نُشر بتاريخ ١٣/٥/٢٠١٠.

مهنا، ميادة. "صورة المرأة في الصحافة الفلسطينية". أطروحة ماجستير. كلية الإعلام بجامعة القاهرة، ٢٠٠٩.

نسيرة، هاني. **السلفية في مصر**. القاهرة: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، ٢٠١١.

النهيوم، الصادق. **إسلام ضد الإسلام: شريعة من ورق**. الطبعة الثالثة. بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩٥.

الهيثم، زعفان. **الفضائيات الشيعية التبشيرية: دراسة وصفية مع تحليل قناة الكوثر الإيرانية**. القاهرة: مركز التنوير للدراسات الإنسانية، ٢٠١٠.

يوسفي، محمد عبد الوهاب. **جسد الأنثى بين الخطاب الديني والخطاب الإعلامي**. الطبعة الأولى. بيروت: الطليعة، ٢٠٠٩.

مواقع الإنترنت:

الإسلام سؤال وجواب: http://islamqa.info

دويتشه فيله: http://www.dw-world.de

مساواة الآن: http://www.equalitynow.org

المؤسسة الدولية لترقق العظم: www.iofbonehealth.org

موقع ابن باز: www.binbaz.org.sa

النبأ: http://annabaa.org

تقارير واستطلاعات ومسوح:

استحقاق أيلول والدولة الفلسطينية، استطلاع رقم (٥) آب ٢٠١١. رام الله: **مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان**، ٢٠١١.

تقرير البث الفضائي العربي. اللجنة العليا للتنسيق بين القنوات الفضائية العربية. اتحاد الإذاعات العربية ٢٠١٠.

تقرير التنمية الإنسانية ٢٠٠٩/ ٢٠١٠ الأراضي الفلسطينية "الاستثمار في الأمن الإنساني من أجل دولة مستقبلية". **برنامج الأمم المتحدة الإنمائي**.

مسح الثقافة الأسري ٢٠٠٩، تقرير النتائج الرئيسية. الجهاز **المركزي للإحصاء الفلسطيني**، ٢٠٠٩. رام الله – فلسطين.

الفضاء الديني في الثقافة الفلسطينية، استطلاع رقم (٣) آب ٢٠٠١. رام الله: **مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان**، ٢٠١٠.

مقابلات:

مقابلة مع عاطف صالح مدير عام الوعظ والإرشاد في وزارة الأوقاف في رام الله ٢٠١١/١٢/٢٩.

مقابلة مع عبد الرحمن محمود مسؤول غرفة التحكم في مكتب فلسطين للإعلام والاتصال. رام الله ٢٠١١/١١/١.

مقابلة مع د. مصطفى علي. طبيب عام في مستشفى القدس في عمان. رام الله ٢٠١١/٨/٣١.

مصادر باللغة الانجليزية

Abd Ulhamid, Reem. "Muslim discourse on women's sexuality: the case of Iqraa TV (2008)". Dissertation for Masters Degree. The American University of Paris, 2009.

Hroub, Khaled. *Religious Broadcasting in the Middle East*. London: Hurst & Company, 2012

Laughey, Dan. *Key Themes in Media Theory*. London: The McGraw-Hill, 2007

Nathan Field, Ahmed Hamam, "Salafi TV in Egypt". *Arab Media & Society*. Spring 2009

منشورات مواطن

سلسلة دراسات وأبحاث

الديمقراطية الفلسطينية بين الخطاب والممارسة : منظمة التحرير الفلسطينية وأطرها ١٩٦٤-١٩٩٣
عمر عساف

"قانون" التشريع و"قانون" الحرية : هل الديمقراطية بديل عن حكم القانون؟
عاصم خليل

موقع حركات الإسلام السّياسي في الثّورات الشّعبيّة العربيّة وفيما بعدها
(دراسة حالة : مصر وتونس)
منذر مشاقي

دراسات في الديمقراطية و وسائط الإعلام
لينة الجيوسي

دراسات في الثقافة والتراث والهوية
شريف كناعنة

العَتَبَة في فتح الإبستيم
إسماعيل ناشف

العمالة الفلسطينية في إسرائيل ومشروع الدولة الفلسطينية
ليلى فرسخ

مدخل في تاريخ الديموقراطية في اوروبا
عبد الرحمن عبد الغني

النساء والقضاة والقانون : دراسة أنثروبولوجية للمحكمة الشرعية في غزة
نهضة يونس شحادة

نساء على تقاطع طرق: الحركة النسوية الفلسطينية بين الوطنية والعلمانية والهوية الإسلامية
إصلاح جاد

في المسألة العربية: مقدمة لبيان ديمقراطي عربي
عزمي بشارة

تمكين الأجيال الفلسطينية: التعليم والتعلم تحت ظروف قاهرة
نفيدة جرباوي وخليل نخلة

"وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ": الإسلاميون والديمقراطية
رجا بهلول

فلسطين الى أين؟ تلاشي حل الدولتين (باللغة الإنجليزية)
تحرير جميل هلال

الطبقة الوسطى الفلسطينية، بحث في فوضى الهوية والمرجعية والثقافة
جميل هلال

النظام السياسي الفلسطيني بعد اوسلو: دراسة تحليلية نقدية (طبعة ثانية - مزيدة)
جميل هلال

نظريات الانتقال إلى الديمقراطية: إعادة نظر في براديغم التحول
جوني عاصي

من التحرير إلى الدولة: تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٤٨ - ١٩٨٨
هلغى باومغرتن

تقاسيم زمّار الحيّ - مقالات
فيصل حوراني

بروز النخبة الفلسطينية المعولمة (باللغة الانجليزية والعربية)
ساري حنفي وليندا طبر

الحداثة المتقهقرة: طه حسين وأدونيس
فيصل دراج

صفد في عهد الانتداب البريطاني ١٩١٧ - ١٩٤٨
مصطفى العباسي
بالتعاون مع مؤسسة الدراسات الفلسطينية والمقدسية

الجبل ضد البحر
سليم تماري

من يهودية الدولة حتى شارون : دراسة في تناقض الديمقراطية الإسرائيلية
عزمي بشارة

تشكل الدولة في فلسطين (باللغة الانجليزية)
تحرير : مشتاق خان، جورج جقمان، انج أمندسن

مستقبل النظام السياسي الفلسطيني والآفاق السياسية الممكنة
تحرير : وسام رفيدي
وقائع مؤتمر مؤسسة مواطن، ومعهد ابراهيم ابو لغد ٢٠٠٤

التربية الديمقراطية، تعلم وتعليم الديمقراطية من خلال الحالات
ماهر الحشوة

حركة معلمي المدارس الحكومية في الضفة الغربية ٢٠٠٠-١٩٦٧
عمر عساف

المجتمع الفلسطيني في مواجهة الاحتلال : سوسيولوجيا التكيف المقاوم خلال انتفاضة الاقصى
مجدي المالكي واخرون

اسطورة التنمية في فلسطين : الدعم السياسي والمراوغة المستديمة
خليل نخلة

جذور الرفض الفلسطيني ١٩١٨-١٩٤٨
فيصل حوراني

القطاع العام ضمن الاقتصاد الفلسطيني
نضال صبري

هنا وهناك نحو تحليل للعلاقة بين الشتات الفلسطيني والمركز
ساري حنفي

تكوين النخبة الفلسطينية
جميل هلال

الحركة الطلابية الفلسطينية: الممارسة والفاعلية
عماد غياظة

دولة الدين، دولة الدنيا: حول العلاقة بين الديمقراطية والعلمانية
رجا بهلول

النساء الفلسطينيات والانتخابات، دراسة تحليلية
نادر عزت سعيد

المرأة وأسس الديمقراطية
رجا بهلول

النظام السياسي الفلسطيني بعد اوسلو: دراسة تحليلية نقدية
جميل هلال

ما بعد اوسلو: حقائق جديدة (باللغة الانجليزية)
تحرير: جورج جقمان

ما بعد الازمة: التغييرات البنيوية في الحياة السياسية الفلسطينية، وآفاق العمل
وقائع مؤتمر مواطن ٩٨

التحرر، التحول الديمقراطي وبناء الدولة في العالم الثالث
وقائع مؤتمر مواطن ٩٧

اشكالية تعثر التحول الديمقراطي في الوطن العربي
وقائع مؤتمر مواطن ٩٦

العطب والدلالة في الثقافة والانسداد الديمقراطي
محمد حافظ يعقوب

رجال الاعمال الفلسطينيون في الشتات والكيان الفلسطيني
ساري حنفي

مساهمة في نقد المجتمع المدني
عزمي بشارة

حول الخيار الديمقراطي
دراسات نقدية

سلسلة رسائل الماجستير

مَكَانَةُ المَرأَةِ في الإِسْلامِ فِي ظِلِّ تَأْوِيلِ آيَةِ القوَامَة منظور فلسطيني
مي البزوري

مرجعية الخطاب السياسي الإسلامي في فلسطين
خالد علي زواوي

الدبلوماسية العامة الفلسطينية بعد الانتخابات التشريعية الثانية
دلال باجس

الإنتخابات والمعارضة في المغرب بين التحول الديمقراطي واستمرارية النظام السلطوي (١٩٩٧-٢٠٠٧)
نشأت عبد الفتاح

عن النساء والمقاومة : الرواية الاستعمارية
أميرة محمد سِلْمي

التغيير السياسي من منظور حركات الإسلام السياسي : "حماس" نموذجا
بلال الشوبكي

المجتمع المدني "بين الوصفي والمعياري" : تفكيك إشكالية المفهوم وفوضى المعاني
ناديا أبو زاهر

النقد والثورة : دراسة في النقد الاجتماعي عند علي شريعتي
خالد عودة الله

حركة "فتح" والسلطة الفلسطينية : تداعيات أوسلو والانتفاضة الثانية
سامر إرشيد

سلسلة مداخلات واوراق نقدية

مداخلات حول الدين والديمقراطية والدولة المدنية
تحرير: رجا بهلول

الفلسطينيون على جانبي الخط الأخضر في ظروف سياسية متغيّرة
(وقائع ورشة عمل، ٤-٥ آذار ٢٠١١ في رام الله)
تحرير: حسن خضر

الإعلام الفلسطيني والإنقسام: مرارة التجربة وإمكانيات التحسين
تحرير: خالد الحروب وجمان قنيص

قبل وبعد عرفات: التحول السياسي خلال الانتفاضة الثانية
جورج جقمان

أن تكون عربياً في أيامنا
عزمي بشارة

المنهاج الفلسطيني اشكاليات الهوية والمواطنة
عبد الرحيم الشيخ (محرراً)

الحريات المتساوية حقوق المرأة بين الديمقراطية - الليبرالية وكتب التربية الإسلامية
وليد سالم وإيمان الرطروط

اليسار والخيار الاشتراكي قراءة في تجارب الماضي، واحتمالات الحاضر
داوود تلحمي

تهافت أحكام العلم في إحكام الإيمان
عزمي بشارة

الديمقراطية والإنتخابات والحالة الفلسطينية
وليم نصار

إطار عام لعقيدة أمن قومي فلسطيني
حسين آغا وأحمد سامح الخالدي

نحو أممية جديدة: قراءة في العولمة/ مناهضة العولمة والتحرر الفلسطيني
علاء محمود العزة وتوفيق شارل حداد

التنظيمات والأحزاب السياسية الفلسطينية
جميل هلال

الأحزاب السياسية الفلسطينية والديمقراطية الداخلية
طالب عوض وسميح شبيب

الراهب الكوري . . سَفَر وأشياء أخرى
زكريا محمد

واقع التعليم الجامعي الفلسطيني: رؤية نقدية
ناجح شاهين

طروحات عن النهضة المعاقة
عزمي بشارة

ديك المنارة
زكريا محمد

لئلا يفقد المعنى (مقالات من سنة الانتفاضة الاولى)
عزمي بشارة

في قضايا الثقافة الفلسطينية
زكريا محمد

ما بعد الاجتياح: في قضايا الاستراتيجية الوطنية الفلسطينية
عزمي بشارة

المسألة الوطنية الديمقراطية في فلسطين
وليد سالم

الحركة الطلابية الفلسطينية ومهمات المرحلة تجارب وآراء
تحرير مجدي المالكي

الحركة النسائية الفلسطينية اشكاليات التحول الديمقراطي واستراتيجيات مستقبلية
وقائع مؤتمر مواطن ٩٩

اليسار الفلسطيني : هزيمة الديمقراطية في فلسطين
علي جرادات

الخطاب السياسي المبتور ودراسات أخرى
عزمي بشارة

أزمة الحزب السياسي الفلسطيني
وقائع مؤتمر مواطن ٩٥

المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في فلسطين
زياد ابو عمرو واخرون

الديمقراطية الفلسطينية
موسى البديري واخرون

المؤسسات الوطنية، الانتخابات والسلطة
اسامة حلبي واخرون

الصحافة الفلسطينية بين الحاضر والمستقبل
ربى الحصري واخرون

الدستور الذي نريد
وليم نصار

سلسلة اوراق بحثية

الفضائيات الدينية : الصورة المثالية للمرأة وأثرها على النساء في فلسطين
جمان قنيص

الحركة الطلابية الإسلامية في فلسطين الكتلة الإسلامية . . نموذجاً
دلال باجس

دراسات اعلامية ٢
تحرير : سميح شبيب

دراسات اعلامية
تحرير : سميح شبيب

الثقافة السياسية الفلسطينية
باسم الزبيدي

العيش بكرامة في ظل الاقتصاد العالمي
ملتون فيسك

الصحافة الفلسطينية المقروءة في الشتات ١٩٦٥-١٩٩٤
سميح شبيب

التحول المدني وبذور الانتماء للدولة في المجتمع العربي والاسلامي
خليل عثامنة

المساواة في التعليم اللامنهجي للطلبة والطالبات في فلسطين
خولة الشخشير

التجربة الديمقراطية للحركة الفلسطينية الاسيرة
خالد الهندي

التحولات الديمقراطية في الاردن
طالب عوض

النظام السياسي والتحول الديمقراطي في فلسطين
محمد خالد الازعر

البنية القانونية والتحول الديمقراطي في فلسطين
علي الجرباوي

سلسلة التجربة الفلسطينية

صوت العاصفة: سيرة إذاعات الثورة الفلسطينية في المنفى
نبيل عمرو

شيوعيون في فلسطين: شظايا تاريخ منسي
موسى البديري

ثَمَنَاً للشَّمْس
عائشة عودة

سَأُحَدِّثُكُم عَن هَاجس: مجموعة نصوص أدبية ل أقلام جديدة
تقديم وتحرير هَيفاء أسعد

المقاوَمة الشعبية في فلسطين تاريخ حافل بالأمل والإنجاز
مازن قمصية

شفيق الحوت
سميح شبيب (محرراً)

أنيس صايغ والمؤسسة الفلسطينية السياسات، الممارسات، الإنتاج
سميح شبيب (محرراً)

انتفاضة الأقصى: حقول الموت
محمد دراغمة

أحلام بالحرية (الطبعة الثانية)
عائشة عودة

الواقع التنظيمي للحركة الفلسطينية الأسيرة دراسة مقارنة ١٩٨٨-٢٠٠٤
اياد الرياحي

مغدوشـة : قصـة الحرب على المخيمات فـي لبنـان
ممدوح نوفل

يوميات المقاومة في مخيم جنين
وليد دقة

أحلام بالحرية
عائشة عـودة

الجري الى الهزيمة
فيصل حوراني

أوراق شاهد حرب
زهير الجزائري

البحث عن الدولة
ممدوح نوفل

سلسلة مبادئ الديمقراطية

ما هي المواطنة؟	المحاسبة والمساءلة
فصل السلطات	الحريات المدنية
سيادة القانون	التعددية والتسامح
مبدأ الانتخابات وتطبيقاته	الثقافة السياسية
حرية التعبير	العمل النقابي
عملية التشريع	الاعلام والديمقراطية

سلسلة ركائز الديمقراطية

التربية والديمقراطية
رجا بهلول

حالات الطوارئ وضمانات حقوق الانسان
رزق شقير

الدولة والديمقراطية
جميل هلال

الديمقراطية وحقوق المرأة بين النظرية والتطبيق
منار شوربجي

سيادة القانون
اسامة حلبي

حقوق الانسان السياسية والممارسة الديمقراطية
فاتح عزام

الديمقراطية والعدالة الاجتماعية
حليم بركات

سلسلة تقارير دورية

أوراق في النظام السياسي الفلسطيني وانتقال السلطة

واقع التمييز في سوق العمل الفلسطيني من منظور النوع الاجتماعي
صالح الكفري، خديجة حسين نصر

نحو قانون ضمان إجتماعي لفلسطين

تطوير قواعد عمل المجلس التشريعي نحو قانون للسلطة التشريعية
إعداد : جهاد حرب اشراف: عزمي الشعيبي

نحو نظام انتخابي لدولة فلسطين الديمقراطية
جميل هلال، عزمي الشعيبي وآخرون

الاعمال التشريعية الصادرة عن رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية
سناء عبيدات

دراسة تحليلية حول أثر النظام الانتخابي على تركيبة المجلس التشريعي القادم
احمد مجدلاني، طالب عوض

هذا الكتاب

يتناول هذا الكتاب تأثير القنوات الفضائية الدينية، وتحديداً السلفية، على سلوك النساء في فلسطين. وقد اعتُمد في ذلك على رصد الصورة المثالية التي تقدمها الفضائيات السلفية للمرأة، من خلال تحليل مضمون البرامج، وعلى ما تركه ذلك المضمون من أثر على سلوك تلك النساء وقناعاتهن من خلال مقابلة عينة من النساء من مختلف الشرائح والأعمار، والمستويين الاقتصادي والاجتماعي.

في هذا الكتاب رصد لأثر الفضائيات الدينية في المرحلة التي ازدهرت فيها في بدايات القرن الحالي بفضل "ثورة الاتصالات"، وأُغلق معظمها بعد "إسقاط" حكم الإخوان في مصر مطلع العام ٢٠١٣، بسبب ما كانت توجه لها من اتّهامات بالتحريض على التطرف والعنصرية الدينية.

النتائج التي توصل لها هذا الكتاب مُهمة، لأنه يمكن من خلالها قياس أثر البرامج ذات المضمون الديني التي تلقى إقبالاً، وبخاصة من جمهور النساء.

جمان قنيص

محاضرة في الإعلام في جامعة بيرزيت منذ العام ٢٠٠٣. عملت عشر سنوات في صوت فلسطين في تقديم البرامج الإخبارية وإعدادها باللغتين العربية والفرنسية، وفي تحرير الأخبار وقراءة النشرات الإخبارية.

لها كتاب **فنون الإذاعة والإعلام الفلسطيني والانقسام مرارة التجربة وإمكانيات التحسين**، مع كُتّاب آخرين. كما نُشرت لها أوراق علمية في مجال الإعلام، منها "قناة الناس، لمحة وتحليل مضمون، ودعاة" في كتاب **البث الديني في الشرق الأوسط**، ضمن مشروع الإعلام العربي بجامعة كامبريدج.

مواطن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية

ISBN 978-9950-312-77-7